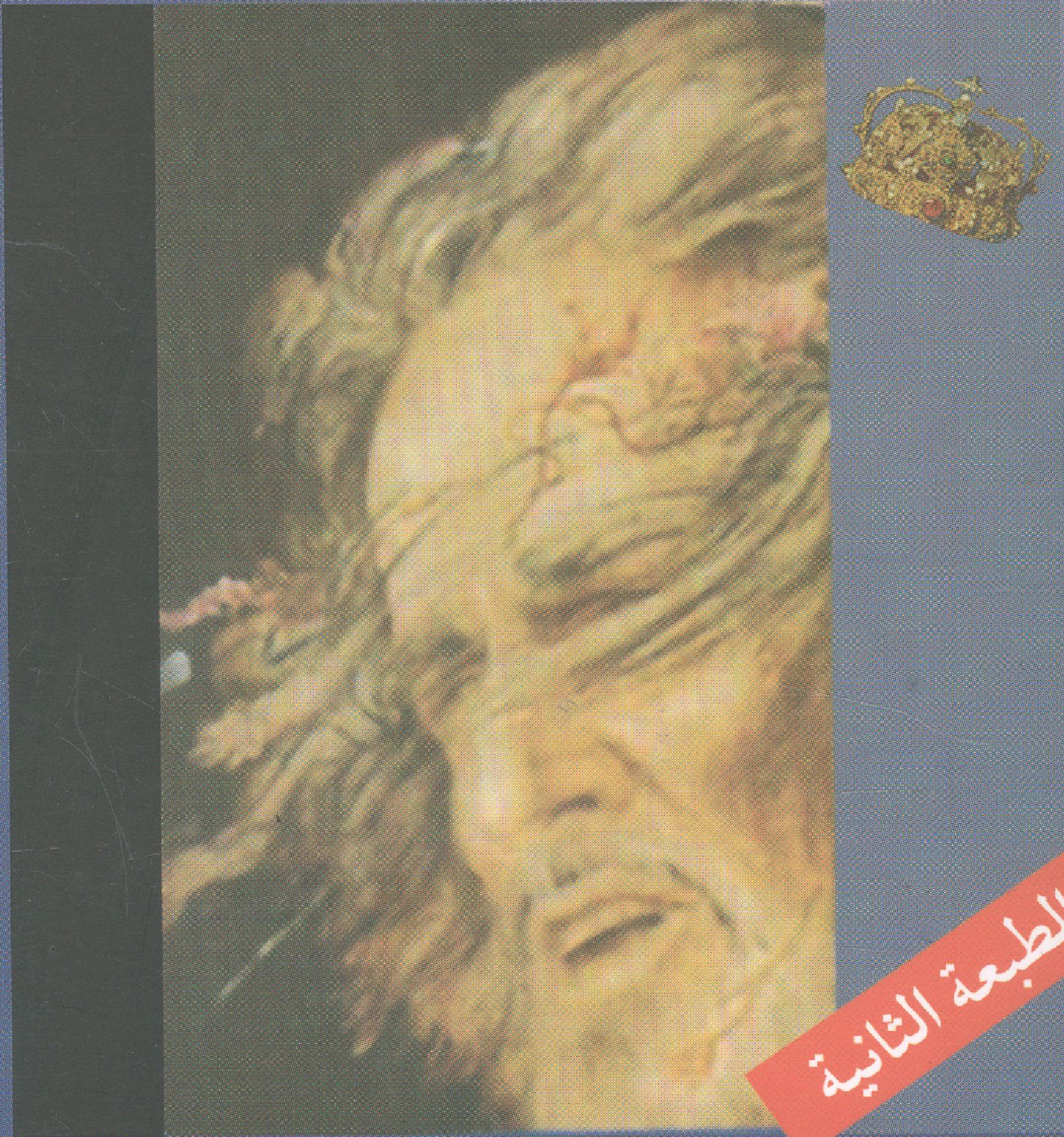
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الملك لير



الطبعة الثانية

تأليف: وليم شكسبير

ترجمة وتقديم: محمد مصطفى بدوى

الملك لير

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٥٢٤/ ٢
- الملك لير
- وليم شكسبير
- محمد مصطفى بدوى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة

King Lear

by: William Shakespeare

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

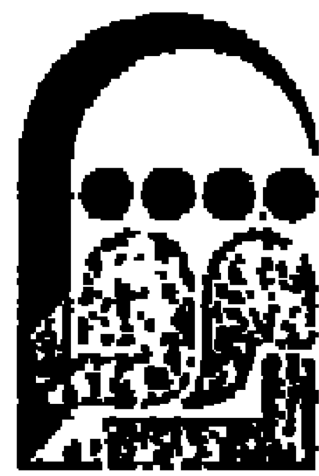
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

الملك لير

تأليـــــف: وليـــم شكسبيـــــر
ترجمة وتقديم: محمد مصطفى بدوى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١١٩٨ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 0 - 358 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

كلمة عن الترجمة

اعتمدنا في هذه الترجمة على طبعة آردن الجديدة كما فعلنا في ترجمتنا لمسرحية «مكبث» التي ظهرت في هذه السلسلة في ٢٠٠١ (المشروع القومي للترجمة – رقم ٢٩٦) . ولذلك فالنص الذي ترجمناه هو النص الذي قام بتحقيقه – أو على الأصح بإعادة تحقيقه – الأستاذ كينيث ميور ، هذا باستثناء عبارة أو عبارتين رأينا أن هناك ما هو خير من تفسير الأستاذ ميور لهما . وقد نشرت مسرحية «الملك لير» لأول مرة في طبعة منفصلة عام ١٦٠٨ وأعيد طبعها عام ١٦١٩ قبل أن تنشر ضمن المجموعة الكاملة لمسرحيات شكسبير التي ظهرت عام ١٦٢٣ ، أما عن تاريخ إخراجها على خشبة المسرح فمن الثابت أنها مثِّلت في ديسمبر ١٦٠٦ . ويرى الأستاذ ميور أن شكسبير ألَّفها بين ١٦٠٤ و١٦٠٥ أي بعد «هملت» (١٦٠٠) و«عطيل» (١٦٠٤) وقبل «مكبث» (١٦٠٦) .

وفيما يتعلق بالترجمة ذاتها كان رائدنا أن نجعلها بأسلوب سهل بحيث يصبح تمثيلها على المسرح أمرًا يسيرًا كل اليسر . ولعل هذه الصفة هي ما يميز ترجمتنا عن ترجمة الصديق الراحل الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا التي نشرتها له دار النهار ببيروت عام ١٩٦٨ . وإني أنتهز هذه الفرصة لأنوه بما في ترجمة الأستاذ جبرا من دقة وعمق في الفهم ،

لا يؤثر فيها بعض ما فيها من هفوات – ولا تخلو أية ترجمة من هفوات ، غير أنني وجدت ترجمته بصفة عامة مغالية فى الشاعرية فى كثير من الأحيان ، شديدة القرب فى قوالبها وتراكيبها من قوالب الأصل الإنجليزى وتراكيبه بحيث يتعذر إلقاؤها على المسرح ، أو على الأقل قد يجد الممثل فيها ما يحول دون تلقائية التمثيل . ونود أن نسجل هنا أننا بوصفنا من دارسى شكسبير والمتيمين بشعره المسرحى والمدركين لغزارة أسلوبه الفياض لا يسعنا إلا تقدير الدوافع النبيلة التى جعلت الأستاذ جبرا يحاول جاهداً أن يظل قريبًا فى أسلوبه وتراكيبه من أسلوب شكسبير وتراكيبه . إلا أننا نرى أن واجبنا الأول إزاء المسرح العربى أن نجعل مسرح شكسبير يؤلف جزءاً جوهريًا من نشاطنا المسرحى ومن تجاربنا المسرحية الحية . إن شكسبير الشاعر يفقد الكثير من شعره فى الترجمة ، فى أى ترجمة وإلى أى لغة كانت . من يريد أن يعرف شكسبير على حقيقته لابد له من معرفة لغة شكسبير الأصلية ولا عوض له عن ذلك .

عليه أن يتجشم الصعاب فى دراسته لهذه اللغة ليكون جزاؤه من المتعة الجمالية والروحية أضعاف أضعاف ما يكلف نفسه من جهد وعناء. أما شكسبير الكاتب المسرحى فيبقى منه الكثير فى الترجمة الأمينة ، هذا وإن كنا لا نغفل عما يضيفه الشعر من بعد آخر إلى أبعاد المسرحية ذاتها ، لأن التجربة الدرامية التى يعبر عنها شعراً لا يمكن أن يُعبَّر عنها نثرًا دون أن تفقد عنصراً مهمًا من عناصرها ومقوماتها . وهذه حقيقة سبق أن أكدناها فى مقدمتنا لترجمتنا لمسرحية «مكبث» .

وأود أن أنوه هنا أيضًا إلى ترجمة الزميلة الصديقة د. فاطمة موسى التى اطلعت عليها حديثًا والتى ظهرت فى ١٩٧٠ وأعيد نشرها فى ١٩٩٧ . لقد استمتعت بقراءتها وأفدت منها كثيراً . إن ترجمتها تمثل النقيض من ترجمة الأستاذ جبرا فلغتها بالغة السهولة بحيث يتسنى إلقاؤها على خشبة المسرح دون عناء . بيد أن د. فاطمة موسى فى محاولتها تقريب بعض لغة شكسبير إلى القارئ العربى بالغت بعض الشيء فى تعريب المسرحية ، لاسيما فى كلام البهلول بحيث جعلته عربيًا يتحدث بالعامية المصرية أحيانًا ، مثلما يستخدم فى قسمه عبارات مثل «والنبى» وبذلك بعدت عن الأصل فى بعض المواضع وفقدت طابعه الوثنى ، هذا وإن كنت أعجبت ببراعة تصرفها فى الكثير من الأحيان .

وبعد ، فهذه مسرحية وعرة وترجمتها شاقة ومن مصادر الصعوبة فى ترجمتها الإشارات والتلميحات إلى تراث أدبى وشعبى هائل من الأساطير والحكم والأمثال تُقتبس منها الشخصيات ، لاسيما بعضها . ومنها أيضًا ذلك العدد الكبير من الأغانى، وقد حاولنا أن نترجمها شعراً موزونًا وأحيانًا مقفى بقدر المستطاع وبأدنى تحوير ممكن لكى نميّز بينها وبين سائر الكلام من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكى نعين المخرج – أو بالأحرى الملحّن – على تلحينها بحيث يتسنى لمن يقوم بالدور غناؤها . ثم هناك تلك الشخصية المهمة من شخصيات المسرحية ، والتى أطلقنا عليها لفظة «بهلول» مقتفين فى ذلك أثر الأستاذ جبرا . إن اسم هذه الشخصية بالإنجليزية Fool لا يعنى مضحك الملك أو المهرج وحده ، بل يعنى أيضًا ما تعنيه كلمة أحمق أو أبله باللغة العربية . والشخصية

– كما يتضح القارئ – فى ظاهرها عبارة عن مزيج من مضحك الملك ونديمه وهى ظاهرة معروفة فى الحضارة الغربية ، والمسرحيات الإنجليزية فى عصر شكسبير تعج بأمثالها . وفى مسرحية لير بالذات يقصد شكسبير – غالبًا – كلا المدلولين للكلمة فى الآن نفسه . ولما كانت اللغة العربية – على حد علمنا – لا يوجد فيها لفظة واحدة تعنى هاتين الصفتين معًا ، لذا ينبغى للقارئ أن يتذكر دائمًا أن لفظة البهلول أحيانًا ترادف الأحمق أو الأبله وأن ما سميناه البهللة يعنى الحمق أو البلاهة .

وأخيرًا هناك مشاهد الجنون فى هذه المسرحية ، وهى المشاهد التى يتكلم فيها مجنون أو مدّع للجنون كلامًا بعضه مفيد وبعضه غير مفيد وجلّه بين بين . ولعل هذا الضرب من الحديث أصعب الكلام ترجمة إلى لغة غير لغته .

د. محمد مصطفى بدوى

جامعة أكسفورد – فبراير ٢٠٠٢

مقدمة

تدور أحداث المسرحية فى بريطانيا فى الماضى السحيق فى عهد الوثنية وقبل أن تُعرف المسيحية . وهذه حقيقة مهمة ينبغى أن نضعها نصب أعيننا ؛ إذ تؤكد أن شكسبير فى هذه المأساة ينظر إلى أشخاصه من منظور يتخطى المنظور الدينى سواء كان هذا الدين هو المسيحية أو غيرها من الأديان السماوية التى تجد تبريراً للشرّ وتعتبره مجرد عنصر من العناصر التى تتألف منها الحياة فى نطاق كَوْن يسوده الخير فى جملته . إن شكسبير هنا يسبر أغوار النفس البشرية البدائية ويرينا الإنسان فى صورته الجوهرية الأولية مجرداً من كل زخرف وأيديولوچية وعقائد مما يضفى على المأساة صفة شمولية مطلقة ويزيد ما تثيره من مشاعر الجزع والهول .

تبدأ المسرحية بظهور ثلاث من أهم شخصياتها فى قاعة الاحتفالات الفخمة بقصر الملك لير ، وهم النبيل كِنت والنبيل جلوستر نراهما منهمكين فى الحديث عن آخر أنباء البلاط الملكى ، وهو عزم الملك لير على التخلى عن السلطان وتقسيم مملكته بين بناته الثلاث . ويصحبة جلوستر شاب يسأله كِنت عما إذا كان ابنه فيخبره جلوستر على نحو غير مباشر لا يخلو من الفكاهة القاسية بأنه إدموند ابنه غير الشرعى

وكان بالخارج مدة تسع سنوات وسيرحل إلى الخارج ثانية قريبًا . ويضيف جلوستر قائلاً إن له ابنًا آخر اسمه إدجار وهو ابن شرعى ويكبره بحوالى عام . إدجار هو أيضًا من الشخصيات التى ستلعب دوراً مهمًا فى تطور الأحداث . وهكذا - وبإيجاز رائع وعلى نحو طبيعى غير مفتعل - يقدم لنا شكسبير من خلال الحوار ما نحتاجه من المعلومات لمتابعة الأحداث . ثم يظهر على المسرح أحد رجال الحاشية حاملاً تاجًا (والتاج رمز له دلالته الكبرى الواضحة فى المسرحية). ويأتى خلفه الملك لير وهو رجل طاعن فى السن ومعه بناته الثلاث جونريل وريجان وكورديليا وأيضًا دوق أولبانى زوج جونريل ودوق كورنوول زوج ريجان . وهكذا يكتمل عندنا عدد الشخصيات الرئيسية فى المسرحية باستثناء البهلول الذى سيظهر فيما بعد فى المشهد الرابع من الفصل الأول . والبهلول هو مضحك الملك الذى يتخذ البلاهة والحمق قناعًا للحكمة ووسيلة للتعليق الجرىء على الأحداث .

. يعلن الملك قراره بالتخلى عن السلطة نظرًا لكبر سنه ، وبتقسيم المملكة بين بناته. ويبيّن أن الهدف من عقد هذا الاجتماع هو: أولاً تحديد حصة كل من البنات. وثانيًا تقرير مصير كورديليا أصغرهن ، أى ما إذا كانت ستتزوج ملك فرنسا أو دوق برجندى ،.وكلاهما فى زيارة للقصر ويخطبان ودها منذ فترة من الزمن . يخبرنا الملك أنه سيهب الحصة الكبرى للبنت التى تقنعه بأنها تكنّ له أعمق الحب . وواضح أن هذه مجرد تمثيلية تستهدف إرضاء غرور الملك ، إذ نحن نعرف من بداية المسرحية من خلال الحوار بين جلوستر وكِنت أنه قد حدّد من قبل مقدار

حصة جونريل وريجان على الأقل . تتبارى جونريل وريجان فى التعبير عن مدى حبهما لأبيهما بمعسول الكلام إلى حد الإسراف، ولا يدرك الملك أو لا يود أن يدرك ما فى كلامهما من التملق والنفاق ، بل على العكس يرضيه ما يسمع . وعندما يأتى دور الصغرى كورديليا تشاء ألا تجارى أختيها فى التملق وتكتفى بأن تقول إنها تحب أباها وفقًا لما يقضى به واجبها لا أكثر ولا أقل ، فينزعج لير لكلامها لاسيما وأن كورديليا على حد قوله هي ابنته الأثيرة لديه، فيطلب منها أن تعدّل قولها، ولكن يمنعها كبرياؤها من أن تغير موقفها، فيبلغ به غضبه حدّ حرمانها من حصتها التى يقسمها بين أختيها بل والتبرؤ منها ، وحين يحاول النبيل كِنت الذى يكنّ لمولاه أخلص المحبة والوفاء أن يثنيه عن عزمه ويضع حدًا لطيشه يكون جزاؤه النفى من الوطن . وعندما يعلم دوق برجندى أن كورديليا قد فقدت حصتها ولن يكون لها صداق يعدل عن طلب يدها . ولكن ملك فرنسا يروقه صدقها وصراحتها ويقبلها زوجة له وشريكة لملكه فترحل معه إلى فرنسا دون أن يصحبها عطف أبيها ورضاه . ويقرر لير أن يقيم هو وحاشيته التى تتألف من مائة رجل مع كلتا الابنتين جونريل وريجان وزوجيهما لمدة شهر بالتناوب على نفقتهما على شرط أن يحتفظ لنفسه بلقب الملك فقط وبما يتبع ذلك من مراسم دون أن يكون له أى سلطة فى الحكم . وينتهى هذا المشهد الأول الطويل والحافل بالأحداث بالابنتين جونريل وريجان وقد أزعجهما مقدار ما ظهر فى سلوك أبيهما من التقلب والتهور والطيش ، فيتشاوران فيما ينبغى أن تصنعاه درءًا لما قد يطرأ من المشاكل بسبب رعونة أبيهما ونزواته .

وفى المشهد الثانى يقدم لنا شكسبير قصة النبيل جلوستر وولديه إدموند وإدجار ، وهى التى يسميها النقاد العقدة الثانوية ، مميزين بينها وبين العقدة الرئيسية التى هى حكاية الملك لير وبناته ، وإن كانت شديدة الصلة بها إذ تتداخل أحداث العقدتين وتتشابك بحيث لا يمكن الفصل بينهما سواء على مستوى مجرد سرد الوقائع أو على المستوى الأعمق الذى يتعلق بالتيمات والمعانى والدلالات . يدخل إدموند ممسكا بخطاب في يده ، ويناجي نفسه أو بعبارة أخرى يخاطب الجمهور بكلام يعرب فيه عن فلسفته في الحياة . إنه يؤمن بما يسميه «الطبيعة» أى بالإنسان فقط وبإرادة الإنسان وحده دون اللجوء إلى الخرافات أو إرادة عليا تحدد مصير البشر . كذلك يرفض شريعة المجتمع التى تتحيز ضد الأبناء غير الشرعيين مثله ، التى تحرمه من ميراث أبيه لكونه أصغر سنًا من أخيه . ويُسرُّ لنا بأنه يدبر مكيدة للإيقاع بأخيه للاستيلاء على أملاكه ، ذلك بأن يوهم أباه بأن الخطاب الذى سيتظاهر بمحاولة إخفائه عنه هو من أخيه إدجار، وفيه يحرِّضه على قتل أبيهما للاستمتاع بتركته. فيثير إدموند بذلك غضب أبيه على ابنه إدجار ونقمته على ما يظنه عقوق الأبناء (على نحو يشبه سلوك الملك لير وإن كان يقل حدة عنه) . ومن ناحية أخرى يوهم إدموند أخاه إدجار بأن أباه ساخط عليه ويود قتله ، وينصحه بألا يمشى دون سلاح منذ الآن وحتى تزول الغمة ويخف غضب أبيه .

أما عن الملك لير فنرى ابنته جونريل سرعان ما تضيق ذرعًا بسلوكه هو ورجاله فى قصرها وتأمر خدمها بالتقصير فى خدمته

وإهماله بقصد إثارة موضوع إقامته معها وفرضها قيوداً على سلوكه . وحين يعود لير وفرسانه من الصيد نجده يتصرف كما لو كان لا يزال هو الملك السيد المطاع صاحب السلطة المطلقة فيأمر الخدم بتجهيز الغداء في التو وألا يتوانوا في ذلك وبأن يحضروا له بهلوله حالاً . ويتقدم منه النبيل كنت متخفياً في زىّ خادم ويعرض عليه خدماته فيرضى عنه لير ويضمّه إلى معيته .

ولا يخفى على لير أنه لم يعد يتلقى من الخدم ما تعوّد عليه من الحفاوة والإكرام مما يثير سخرية بهلول منه لتخليه عن سلطته . ويأمر لير جونريل بالحضور أمامه فتبلغه عن طريق أحد خدمها - وعلى نحو غير لائق - اعتذارها بأنها متوعكة ولكنها لا تلبث أن تظهر عابسة مكفهرة الوجه لتخبره بأنه «ليس فقط هذا البهلول المباح له كل شيء بل وغيره من رجال حاشيته عديمي الأدب يتنابذون ويتشاجرون كل ساعة وينفجرون في عراك وخناق وصخب لا يطاق» وتطلب منه أن يخفض عدد حاشيته إلى النصف فيكتفي بخمسين رجلاً فقط . فلا يكاد لير يصدق أذنيه وتثور ثائرته بعقوق ابنته ويصب عليها جام غضبه (الذى سبق أن رأينا شيئًا منه حين نبذ ابنته الصغرى كورديليا) ، ويلعنها أبشع اللعنات ويأمر رجاله بتجهيز خيله في التو ويترك قصر جونريل قاصداً ابنته الأخرى ريجان ظنًّا منه أنها ستحسن وفادته وتدين شقيقتها لسوء معاملتها له . وحين يعترض دوق أولباني زوج جونريل على سلوك زوجته لا تعيره اهتمامًا وترسل كبير خدمها أوزولد برسالة إلى أختها ريجان تخبرها فيها بما حدث وتنصحها بأن تسلك نفس السلوك إزاء أبيها .

وفى نفس الوقت يبعث لير خادم كِنت برسالة منه إلى ريجان ليشكو لها من سوء معاملة أختها بينما يظل البهلول يُقرِّع لير على حماقته بتخليه عن العرش .

وفى الفصل الثانى من المسرحية ننتقل إلى قصر النبيل جلوستر حيث يمضى إدموند فى تنفيذ مكيدته . يؤكد لأخيه إدجار أن أباه جاد فى محاولة قتله وينصحه بالهرب . وحين يسمع صوت أبيه قادمًا يشهر سيفه ويتظاهر بالدفاع عن نفسه ضد أخيه ويجرح نفسه - عامدًا - جرحًا طفيفًا فى ذراعه ويخبر أباه بأن إدجار حاول قتله لشدة اعتراضه على فكرة اغتيال أبيهما . فيهدر جلوستر دم إدجار ؛ مما يدفعه إلى التخفى فى هيئة شحاذ - توما المسكين - من فئة المتسولين المجاذيب أو الذين يدّعون الجنون ويتجولون فى الريف شبه عراة يعيشون على ما يتصدق به الناس عليهم . وتنزل ريجان ومعها زوجها دوق كورنوول ضيوفًا على جلوستر تهربًا من زيارة الملك . وتصلهما الأنباء الكاذبة بخيانة إدجار وتفانى إدموند فى الدفاع عن أبيه فيكافئان إدموند بتعيينه ضمن رجال حاشيتهما .

وخارج قصر جلوستر يلتقى كِنت بأوزولد الذى لا يطيقه لتملقه ونفاقه ووصوليته وهى عكس الشمائل التى يتحلى بها كِنت فيتشاجر معه ويعاقبه دوق كورنوول بحبسه فى الدهق رغم اعتراض جلوستر على هذه الإهانة الموجهة إلى الملك فى شخص رسوله . وحين يصل الملك إلى قصر جلوستر يجد - أول ما يجد - رسوله سجينًا فى الدهق فيشتاط غضبًا ويخبره جلوستر بأن ريجان وكورنوول يمتنعان عن رؤيته بحجة التعب من

وعثاء السفر . ولكنهما يظهران بعد قليل ويأمر كورنوول بالإفراج عن كنت وحين تصل جونريل إلى قصر جلوستر تدافع عنها ريجان وتنصح أباها بالعودة إليها بعد أن يعتذر لها . وتشترط الأختان أن يتخلى لير عن حاشيته إذ لا حاجة له إليها لأن حاشية الأختين تتكفل بجميع خدماته . فيجادل لير ابنتيه في ذل مرير في طبيعة حاجة الإنسان وما يميزه عن الحيوان . ويخرج من القصر غاضبًا من عقوق ابنتيه ونكرانهما للجميل ويجابه الأنواء في ليلة ليلاء بردها قارس وتعصف فيها الرياح ويقصف الرعد وينهمر المطر ويتبعه بهلول ، ويأمر دوق كورنوول بأن توصد أبواب القصر دون الملك ورجاله ضمانًا للأمن . وفي مشهد العاصفة هذا – الذي لا يُنسى – نرى لير يصب لعناته على ابنتيه أولاً ثم لا يلبث أن يبدأ يفقد صوابه ثم يظهر كِنت ويحاول أن يقنع مولاه بضرورة الالتجاء إلى كوخ قريب للاحتماء من العاصفة . إلا أن لير يصرّ على أن يدخل بهلول الكوخ قبله . وحين يدخل بهلول الكوخ يجد فيه توما المسكين فيظنه عفريتًا ويرتد عنه فزعًا . فيطمئنه كِنت ، ونرى لير فقد رشده يخاطب توما المسكين ويصفه بأنه الفيلسوف الحكيم يجابه السماء بجسده العاري ويتخذه مثالاً يحتذى ، فيخلع عن نفسه ملابسه ليواجه العاصفة مثله ومثل غيره من المساكين العراة خاويي البطون وبلا مأوى إذ هو يمثل الشيء الحقيقي الأصيل : الإنسان بدون زخرف ليس إلا مثل «هذا الحيوان الذي يمشي على اثنتين ، العريان المسكين .» وأثناء هذيانه يسأل توما المسكين إذا كانت بناته هن اللائي جلبن له هذا الشقاء ويسلك كما لو كان يحاكم ابنتيه وينزل بهما أشد العقاب . والمقابلة صارخة بين

.الملك العارى فى الفلاة أثناء العاصفة وبينه فى أبهه قصره الفاخر فى بداية المسرحية . ولعل هذا المشهد يجعل مأساة الملك لير أقرب ما فى مسرحيات شكسبير من مسرح اللامعقول والقسوة فى القرن العشرين . فجنون الملك الحقيقى يوازيه جنون توما المسكين المصطنع ويقابله حمق بهلول المقنّع أو بلاهته . كذلك فى مشهد العاصفة هذا تبدأ رحلة لير صوب الحكمة والسيطرة على النفس والاستعلاء على زخرف الحياة والسلطان .

ويأتى جلوستر لتقديم بعض العون للملك سرًّا بعد أن يشكو لابنه إدموند من أن سيده دوق كورنوول نهاه عن استقبال لير ، ويبوح له بسر مجىء قوات فرنسية لعقاب ابنتى لير، فيقرر إدموند أن يفشى هذا السر لكورنوول وريجان آملاً أن يعاقب أباه فيحل هو محله ويخلع عليه لقبه وجميع أملاكه . ويخبر جلوستر كِنت بأن جونريل وريجان تنويان اغتيال لير وينصحه بأن يحمل الملك بأسرع ما يمكن إلى دوفر حيث أتت القوات الفرنسية لإنقاذ الملك .

ويفشى إدموند فعلاً سرّ أبيه فيأمر كورنوول بالقبض على جلوستر، وتقترح جونريل أن يعاقب بقلع عينيه، ويقوم كورنوول نفسه بذلك الإجراء الوحشى بعد أن يطلب من إدموند أن يصاحب جونريل إلى قصرها كى لا يرى نوع العقوبة التى ستوقع على أبيه ، ويصعق جلوستر حين يعلم أن الذى وشى به هو ابنه إدموند الذى فضله على أخيه إدجار، ويدرك أنه ظلم ابنه إدجار (مثلما ظلم الملك لير ابنته كورديليا) . ويحاول أحد خدم كورنوول أن يحول بينه وبين قلعه عين جلوستر الثانية دون جدوى إذ تقتله

ريجان بطعنة من الخلف ولكن بعد أن يتمكن الخادم من إصابة كورنوول بجرح قاتل . ويلُقى بجلوستر الأعمى خارج القصر كي «يتشمم طريقه» إلى دوفر . ولا يلبث أن يجد توما المسكين (أي إدجار) أباه وقد فقد بصره فيقوده – دون أن يكشف له عن شخصه – إلى صخور دوفر كما طلب منه وواضح أن هدف جلوستر هو أن يقفز من أعلاها إلى البحر بغية الانتحار فيوهمه ابنه بأنه قفز فعلاً وبأنه أُنقذ من الموت بما يشبه المعجزة. ومنظر الأعمى يقوده الأبله أو من يظن أنه أبله – شأنه شأن منظر فقأ عيني جلوستر – مما يؤكد مسرح القسوة واللامعقول في هذه المأساة .

وحين تعلم جونريل بموت كورنوول تخشى أن ريجان تنوي الزواج من إدموند وكانت الأختان متيمتين بحبه فتدس السم لريجان وتتآمر مع إدموند على قتل زوجها أولباني .

أما عن كورديليا والجيش الفرنسي فإن لير – وكان كِنت قد حمله إلى دوفر – يرفض أن يرى ابنته الصغرى لفرط خجله وندمه على سوء معاملته لها على الرغم من جنونه ، إذ تسمع أنه شوهد تائهًا في الحقول وعلى رأسه تاج من الحشائش والزهور البرية فترسل كورديليا بعض رجالها للبحث عنه ويعثرون عليه ويأتون به وهو في حالة إعياء وهذيان . فيعالجه الطبيب وحينما يفيق من نومه على صوت الموسيقى كما ينصح بذلك الطبيب (والموسيقى من الرموز التي يوظفها شكسبير في مسرحياته مثلما يوظف العاصفة) تستقبله ابنته كورديليا في مشهد من أبدع ما ألفه شكسبير يفيض بالرقة والحنان والشاعرية . فيظن لير لأول

وهلة أنه انتقل إلى العالم الآخر وأن كورديليا هى روح من أرواح الفردوس . غير أنه يدرك بالتدريج أنه لا يزال حيًّا فى هذه الدنيا وأنها ابنته كورديليا فيناشدها المغفرة .

وأثناء تجوال إدجار مع أبيه يلتقى بأوزولد ، وكانت ريجان قد وعدته بأنه إن صادف جلوستر وقتله كانت له مكافأة كبرى . فيهمّ أوزولد بقتل جلوستر ولكن إدجار يقاتله ويصرعه فيرجوه أوزولد وهو يعانى سكرات الموت أن يوصِّل ما فى جيبه من رسائل إلى إدموند فيقرأ إدجار إحدى هذه الرسائل وفيها تقترح جونريل على إدموند أن يغتال أولبانى ويتزوجها فيحتفظ إدجار بهذه الرسالة ويعطيها لأولبانى ، ويتشابك الجيشان ويهزم الجيش الفرنسى ويؤخذ الملك لير وابنته كورديليا سجينين . وكان أولبانى ينوى أن يطلق سراحهما ولكن إدموند – وكان يقود قوات كورنوول – كان قد دبر سرًّا قتلهما وهما فى السجن. وبعد المعركة يظهر أولبانى ومعه ريجان وجونريل ويأمر بالقبض على إدموند وريجان بتهمة الخيانة العظمى ويعلن أنه سيظهر رجل يتحدى إدموند ويبارزه . وحين ينفخ المنادى فى نفيره يظهر إدجار بكامل سلاحه ويقاتل إدموند ويصيبه بجرح مميت . وتضطر ريجان إلى مغادرة المسرح لشدة مرضها بينما يُرِى أولبانى جونريل الرسالة التى تثبت إدانتها فتتحداه قائلة إنه لا أحد يجرؤ على إدانتها لأنها هى مصدر السلطة إلا أنها تغادر المسرح هى أيضًا ونسمع أنها اعترفت بدسّها السم لأختها قبل أن تموت منتحرة ، كذلك يعترف إدموند قبيل موته بجرائمه ويحاول أن ينقذ لير وكورديليا ولكن بعد فوات الأوان ، فيما يخص كورديليا فيظهر لير

حاملاً جثة ابنته وهو يبكيها ويندبها ويعوى من شدة الأسى وإن كان آخر ما يتفوه به هو أنها لا تزال تتنفس إذ يظنها لم تمت بعد . أما جلوستر فقد قضى نحبه حين عرف إدجار على حقيقته ولم يقو قلبه المشوخ على احتمال الصراع بين ما اعتراه من الانفعالات المتناقضة من الفرح والحزن . وتنتهى المسرحية بأن يعرض أولبانى على إدجار وكنت أن يشاركاه فى حكم البلاد . بيد أن كنت يعتذر عن قبول هذا العرض بحجة أنه على وشك الموت إذ يقول «مولاى يدعونى ولا أستطيع أن أرفض له طلباً» ويغادر الجميع المسرح على إيقاع لحن جنائزى .

بعد هذا العرض النقدى الموجز لأحداث المسرحية يجدر بنا أن نقارن بينها وبين المصادر التى استعان بها شكسبير فى تأليفه لها ، فما من شك فى أن هذه المقارنة ستلقى المزيد من الضوء على هدف شكسبير وعلى أسلوب بنائه للمسرحية . أهم هذه المصادر اثنان أولهما: مسرحية «الوقائع الحقيقية لتاريخ الملك لير» المنشورة عام ١٦٠٥ ومؤلفها مجهول وإن كان من الواضح أنه عاش فى القرن السادس عشر. والمصدر الثانى هو رواية «أركاديا» للشاعر الشهير سير فيليب سدنى (١٥٥٤-١٥٨٩) . مسرحية «الوقائع» تبدأ بمحاولة الملك لير أن يزوج ابنته كورديليا عن طريق خدعة لأنها أعلنت أنها لن تقبل الزواج من أى رجل اللهم إلا إذا كان دافعها هو الحب . فيطلب من بناته أن يظهرن له أيهن أشد حبًا له ، على أمل أن تكون كورديليا ستقول له إنها أشدهن حبًا لشخصه وحينئذ يطلب منها أن تقدم له الدليل على حبها له بأن تقبل من يختاره هو لها زوجًا . وحين ترفض كورديليا أن تتملق أباها مثل أختيها يقرر أن يقسم

الملكة بين أختيها ولكنه لا ينبذها كما يرد في مسرحية شكسبير . ثم يأتي ملك جاليا متخفيًا في زيارة لبريطانيا ليتأكد بنفسه من أن بنات لير على ذلك القدر من الجمال الذي يذاع عنهن فيقف على كورديليا وهي تندب حظها فيخطب ودها ويتزوج منها . وبمرور الأيام تسيء ابنتا لير معاملته فيقرر الهرب إلى جاليا وهناك يلتقي بالملك وبكورديليا ويتم الصلح بين لير وابنته ويغزو ملك جاليا بريطانيا نيابة عن لير فيهزم جيش بريطانيا ويسترد لير عرشه وهكذا تنتهي المسرحية بهذه النهاية السعيدة . ولا ذكر في المسرحية القديمة لموت كورديليا سواء بالقتل أو بالانتحار . كذلك لا يطرد فيها لير ليجابه العاصفة ، ولا يصاب بالجنون . كما أنها تخلو من شخص البهلول .

ولا نجد في المسرحية القديمة ما يقابل حكاية جلوستر وولديه . هذه القصة استمدها شكسبير من المصدر الرئيسي الثاني وهو رواية «أركاديا» للشاعر سير فيليب سدني وفيها نجد حكاية ملك بافلاجونيا وابنيه بلكسيرتوس الشرير وليوناتوس الابن البار . كان ليوناتوس ابن الملك الشرعي وكان عاقلاً رزينًا فجعله الملك وريث عرشه . أما بلكسيرتوس فكان ابنًا غير شرعي أنجبه من عشيقة له وإن كان حبه له لا يقل عن حبه لليوناتوس ولكن بلكسيرتوس أخذ يدسّ لأخيه مما جعل الملك يطرده من القصر ويأمر خدمه بأخذه إلى الغاب بقصد قتله إلا أن الخدم أخذتهم الشفقة به فتركوه حيًّا طريدًا في الغابة . ولا يلبث أن يستولي الولد العاق على عرش أبيه بمعونة أتباعه الأشقياء بعد أن يفقأ عينيه ويتركه يهيم على وجهه . ولكن الولد البار حين يعلم بما حدث يأتي

لمعونة أبيه الأعمى ويقوده وإن كان يرفض أن يصحبه إلى الصخرة العالية التى يود أن يقفز منها بغية الانتحار مثلما يحدث فى مسرحية شكسبير . ولكن على عكس ما نجد فى «الملك لير» تنتهى القصة بنصرة الملك واندحار الولد العاق .

إن من يريد أن يقف على دقائق الأصداء التى تتردد فى مسرحية «الملك لير» التى تأتى من شتى مصادر المسرحية ، التاريخية منها وغير التاريخية ، بمقدوره أن يدرس المقدمة الضافية التى كتبها كينيث ميور فى تحقيقه للمسرحية التى نشرت ترجمتها العربية فى سلسلة «من المسرح العالمى» الكويتية رقم ٧٦ (أول يناير ١٩٧٦) . ونكتفى هنا بتبيان بعض النقاط التى اختلف فيها شكسبير عن مصادره وأن نتساءل عن مغزى هذا الاختلاف :

أولاً – لقد وفّر مؤلف المسرحية القديمة دافعًا قويًا للملك لير حين طلب من بناته أن يعبرن عن مدى حبهن له إذ هى حيلة لجأ إليها لخداع كورديليا ليجعلها تقبل من يختاره لها زوجاً . أما شكسبير فلم يورد مثل هذا الدافع المقنع الذى يقبله العقل ، وجعل سلوك لير وليد الغرور والكبرياء والاندفاع والحمق وصلابة الرأى والتهور والاستبداد وتحكم العاطفة الهوجاء – الشىء الذى يجعل عملية تطهيره وتهذيبه واكتسابه الحكمة وتخليه الفعلى وليس اللفظى عن السلطة خلال المسرحية عملية شاقة وبطيئة ، وتجعل عذابه أمراً لا مناص منه هذا وإن كان عذابه لا يتناسب مع جرمه ، فهو كما يقول إبان عذابه فى المشهد الثانى من الفصل الثالث «رجل مظلوم أكثر منه ظالمًا» .

ثانيًا – أضاف شكسبير إلى المسرحية القديمة حكاية جلوستر وولديه ووظيفة هذه العقدة الثانوية أنها توازى العقدة الرئيسية فى تأكيدها لعقوق الأولاد لأبيهم بحيث تضخم الشر وتعممه فيصبح الشر فى عالم «الملك لير» عنصراً كليًا ميتافيزيقيا أى لازمًا لطبيعة البشر . هذا بالإضافة إلى ما تسهم به من أغراض وموتيفات أخرى فى غاية الأهمية للرؤية التى تعبر عنها المسرحية .

ثالثًا – على نقيض بعض المصادر لا يجعل شكسبير مسرحيته تنتهى نهاية سعيدة لأن هذا كان سيناقض مأساوية المسرحية .

رابعًا – على خلاف بعض المصادر الأخرى التى تجعل نهاية كورديليا نهاية فاجعة لم يشأ شكسبير أن يجعلها تموت منتحرة نتيجة لهزيمة جنودها فى الحرب وإنما جعل موتها شنقًا وليد انتصار قوى الشر والظلام على هذه المرأة البريئة الفاضلة التى صورها شكسبير قرب نهاية المسرحية على أنها أقرب إلى الملاك وأضفى عليها قدراً من القدسية .

خامسًا – أضاف شكسبير قصة هيام جونريل وريجان بإدموند وهو أقرب إلى الشهوة منه إلى الحب . وبذلك أكد ما فى شخصيتى المرأتين من شهوانية وحيوانية على العكس من قداسة أختهما الصغرى وأضفى على الرؤية السوداوية التى توفرها مأساة «الملك لير» بعداً جنسيًا بارزاً ونبرة جنسية صارخة .

تعد مأساة «الملك لير» من أعظم تراجيديات شكسبير إن لم تكن أعظمها إذ يصفها الناقد الكبير كولردج بأنها «أعظم جهد بذله شكسبير

الشاعر» . وعلى الرغم من عنصر الفكاهة الذى تجلبه شخصية البهلول إلا أن رؤية العالم فيها تتسم بالسوداوية . لقد انفكّت أواصر الأسرة وانحلّ المجتمع فالأب ينبذ ابنه أو ابنته والابن يوشى بأبيه ويسعى إلى قتله والبنت تطرد أباها الهرم وتتركه يجابه العاصفة فى العراء وتسعى إلى قتله والأخ يدسّ لأخيه ويعمل جاهداً على هلاكه والأخت تكيد لأختها وتدس لها السم والزوجة تتآمر على حياة زوجها ولا دافع للناس غير السلطة والشهوة والجشع ولا يتورعون حتى عن فقأ عيون خصومهم. وفى الواقع إن السوداوية هنا تكاد تبلغ حد الإفراط مما دفع بعض النقاد إلى مقارنة عذاب الملك لير بعذاب أيوب فى العهد القديم . ولا ينسى القارئ كلمات جلوستر «نحن فى أيدى الآلهة كالذباب فى أيدى صبية طائشين : يقتلوننا لمجرد التسلية» (المشهد الأول من الفصل الرابع) . كما أن فكاهة البهلول ليست بالفكاهة البريئة الجزلة إذ تكاد كل نكتة من نكاته تحتوى نقداً لاذعاً وتذكّر لير سواء عن قصد أو عن غير قصد بما يأكل فؤاده من الأسى بدلاً من أن تعينه على أن ينسى أو يبعد عن ذهنه موضوع عقوق بناته ، كما لو كان البهلول لا يستطيع أن يغفر لمولاه ظلمه وسوء معاملته لكورديليا التى كان يعزّها والتى أدى نفيها إلى مرضه .

وقد ذهب بعض النقاد إلى أن تمثيل «الملك لير» على المسرح أمر مستحيل ، فالتجربة التراجيدية فيها على نطاق هائل بحيث إنه لا يسعها أى مسرح على حد تعبير الناقد الكبير برادلى وقبله بقرن أكّد الأديب تشارلز لام أن تأثيرها على خيال القارئ أبلغ وأوقع مما تولده

مشاهدتها على خشبة المسرح ، إذ أن المسرحية تخاطب الخيال أكثر من الحواس . هذا الرأى لا شك مبالغ فيه وقد سفّهه أولئك الذين اشتغلوا بالإخراج المسرحى فى القرن العشرين أمثال هارلى جرانڤيل باركر . هذا وإن كانت بعض مشاهد المسرحية مثل مشهد عذاب الملك لير فى العاصفة يتطلب أداؤه من المخرج المزيد من الجهد والبراعة . كذلك إن الممثل الذى يقوم بتمثيل دور الملك لير يضطلع بمهمة شاقة لأن التطور الذى يصيب شخص لير إنما يحدث فى معظمه على المستوى الباطن أى داخل ذهن لير ، فهو تطور من الرشد إلى الهيجان ومنه إلى الخبل ثم الجنون (وبعده إلى الهدوء والحكمة والبصيرة) حيث إن العاصفة التى تحدث فى العالم الخارجى مثلاً تكاد تكون تجسيداً للعاصفة فى ذهن لير أو على الأقل ترمز لها . والاستخدام الرمزى للجنون والعقل والحمق والحكمة والعمى والبصر يتم فى حالة الملك لير وجلوستر والبهلول على المستوى الواقعى الحرفى كما يتم أيضاً على المستوى الخيالى المجازى .

ويعرض شكسبير رؤيته القاتمة من خلال بنية المسرحية التى تقوم على أساس التضاد والمقابلة بين قوى الشر والخير وغلبة الشر أحياناً على الخير . فجونريل وريجان تقابلهما كورديليا ، وإدموند يقابله إدجار، وكورنوول يقابله أولبانى وأوزولد يقابله كِنت . وهناك التوازى بين حماقة لير وغفلة جلوستر ، وبين عقوق الابنتين جونريل وريجان وجحود الابن إدموند . والوحشية التى تبدو فى معاملة لير وطرده وهو الشيخ الطاعن فى السن ليجابه العاصفة الهوجاء ، وفى معاملة جلوستر حين تفقأ عيناه أمامنا على المسرح ويلقى به خارج أبواب القصر «ليتشمم طريقه إلى

«وفر» هذه الوحشية تؤكدها الصور الشعرية التى تميز المسرحية والتى تكثر فيها صور الحيوان وتعكس عالم الغابة والوحوش الضارية ، حيث إن أثر هذه الوحشية في نفوسنا يغلب على ما يولده فيه ولاء كنت وتفانى إدجار فى خدمة أبيه . وتعلق بالذهن إشارة لير إلى البرابرة المتوحشين الذين يأكلون لحم أبائهم وبنيهم .

ومع ذلك فلا تخلو الرؤية من الأمل كلية فكما يقول الناقد برادلى يمكن تسمية مأساة الملك لير مسرحية «نجاة الملك لير» ويتتبع كينيث ميور مقتفيا أثر برادلى فى تطور شخصية الملك على نحو نقبله بشيء من التحفظ ويمكن تلخيصه فيما يلى :

خلال المسرحية يدرك لير بالتدريج أنه ارتكب خطأً جسيمًا وتجعله قسوة جونريل وريجان يشعر بأنه ظلم ابنته الوحيدة التى تكنّ له حبًّا صادقًا . ولكنه لا يكتسب القدرة على الخروج من قوقعة ذاته الضيقة والتفكير فيما هو غير أنانى محض إلا قبيل نهاية الفصل الثانى عندما يناقش ابنته فى مسألة الحاجة والفرق بين الضرورات الحيوانية الصرفة وحاجات الإنسان حتى أفقر المساكين . ويزداد وعيه أثناء العاصفة بما يربطه بسائر البشر ، بالبؤساء والفقراء العرايا . فيهيب بالبذخ أن يتعطف عليهم بما يفيض عن حاجته . ولا يلبث أن يختل عقله حين يظهر له توما المسكين . لقد أمده الشحاذ المجنون بمثل حى للفقر الذى كان يشفق عليه فمزق ثيابه وخلعها وبذلك وحّد بين شخصه وبين الإنسان بدون زخرف «الحيوان العريان المسكين الذى يسعى على اثنتين» فأصبح لير يمثّل البشرية جمعاء . هذه اللحظة يعتبرها الناقد بحق مركز

المسرحية . وفى مشهد المحاكمة الوهمية التى يحاكم فيها ابنتيه تشغله مسألة العدالة والسلطة ويحمل على الشهوة الجنسية التى أدت إلى ميلاد الأولاد الشواذ . العدالة ليست إلا مجرد أداة فى أيدى الأغنياء والأقوياء يظلمون بها الفقراء والضعفاء . أما السلطة فإن الكلب يُطاع حين يشغل منصبًا . ولكن رغم كل هذا فإن الجميع مذنبون بؤساء ، ولذلك فالبشر جميعًا جديرون بالمغفرة على حد سواء .

لقد مات لير القديم فى العاصفة وولد لير الجديد فى ذلك المشهد الذى يجتمع فيه شمله بكورديليا (المشهد السابع من الفصل الرابع) ويطلب منها الغفران : «أتوسل إليك أن تنسى وتغفرى لى : إننى هرم أحمق» . لقد كان جنونه بمثابة العلامة التى تدل على نهاية الملك الأنانى العنيد . وحينما يُبعث يبعث إنسانًا كامل الإنسانية وإن كان بعثه أليمًا إذ يقول «إنكم تسيئون إلىّ حين تخرجوننى من القبر» ولا يظهر لير على المسرح إلا مرتين بعد التقائه بكورديليا . ففى المرة الأولى حين يقاد أسيراً إلى السجن يتضح لنا أنه تغلب على رغبة فى الانتقام . لقد تخلى الآن عن جميع صفات الملكية التى حالت دون بلوغه أقصى ما يمكن من الإنسانية بل إنه تخطّى حتى كبرياءه . لقد كان فى أول المسرحية عاجزاً عن الحب النزيه إذ كان يستخدم حب الآخرين لإشباع أنانيته . بيد أن عذابه الطويل وفقدانه التام لكل شىء يحرران قلبه من قيود الذاتية فيتعلم كيف ينسى كراهيته وكيف يحس بالمحبة والتواضع . فى هذه المسرحية إذن يحاول شكسبير - فيما يبدو - أن يردّ على تلك الفلسفة الهدامة التى كانت تشك فى كل شىء والتى يمثلها شخص

إدموند خير تمثيل ، وأن يقيم على أساس طبيعة الإنسان ذاته وليس على أساس الديانة السماوية المنزلة ، تلك القيم الأخلاقية المهددة بالزوال . ففى عالم تسوده الشهوة والقسوة والطمع أقصى ما يحتاج إليه البشر هو المحبة والغفران المتبادل رغم صعوبة هذا المطلب وفداحة الثمن بما يتضمنه من التضحية بالأبرياء .

شـخـصيات المسـرحيـة

لير ملك بريطانيا	Lear
ملك فرنسا	King of France
دوق برجندى	Duke of Burgundy
دوق كورنوول زوج ريجان	Duke of Cornwall
دوق أولبانى زوج جونريل	Duke of Albany
إيرل كنت	Earl of Kent
إيرل جلوستر	Earl of Gloucester
إدجار – ابن جلوستر	Edgar
إدموند – ابن غير شرعى لجلوستر	Edmund
كوران – من رجال البلاط	Curan
أوزولد – كبير خدم جونريل	Oswald
رجل عجوز – من مستأجرى أملاك جلوستر	Old Man

Doctor	طبيب
Fool	بهلول
An Officer, employed by Edmund	ضابط فى خدمة إدموند
Gentleman, Attendant on Cordelia	سيد من حاشية كورديليا
A Herald	مناد
Servants to Cornwall	خدم لكورنوول
Goneril	جونريل
Regan	ريجان — بنات لير
Cordelia	كورديليا

فرسان فى حاشية لير . ضباط – رسل – جند وأتباع

المنظر : بريطانيا

الفصل الأول

المشهد الأول

(قاعة احتفالات فى قصر الملك لير)

(يدخل كِنت وجلوستر وإدموند)

كــنــت : كُنت أظن أن الملك يؤثر دوق أولبانى على دوق كورنوول .

جلوستر : هكذا كان يبدو لنا الأمر دائما . ولكنه فى تقسيمه لملكته لا يتضح لنا أيهما يفوق الآخر فى تقديره . فقد تساوى نصيباهما بحيث إنه يتعذر على أى منهما – مهما أوغل فى النظر والتمحيص – أن يجد فى نصيب الآخر ما يجعله يفضله على نصيبه هو .

كــنــت : أليس هذا ابنك يا سيدى ؟

جلوستر : إن تنشئته يا سيدى كانت ضمن مسئوليتي . لكم احمرتْ وجنتاى من الخجل لاعترافى بنسبه إلىّ بحيث إننى الآن قد تعودت أن أقولها بدون حرج .

كــنــت : ليس بمقدورى أن أفهم قصدك .

جلوستر : لقد كان بمقدور أمِّ هذا الشاب أن تفهم قصدى يا سيدى ، فتكوّر رحمها وكان لها طفل فى المهد قبل أن يكون لها زوج يشاركها الفراش . ألا تشتمّ خطيئة ما ؟

كـــنــــت : لا أستطيع أن أقول ليتك ما ارتكبتها وثمرتها كما أرى طيبة بهذا الشكل .

جلوســتــر : ولكني لي ابن آخر يا سيدى ، ابن شرعي يكبره بحوالى عام وإن كان لا يسمو عليه فى تقديرى . وإذا كان هذا الشقىّ قد تجرأ وجاء إلى الدنيا قبل أن يرسل فى طلبه إلا أن أمه كانت جميلة وكانت متعتى وقت إنجابه كبيرة ولذلك فلا يسعنى إلا أن أقر بأن هذا الوغد هو ولدى . أتعرف هذا السيد النبيل يا إدموند ؟

إدمـــونـد : لا يا مولاى .

جلوســتــر : إنه لورد كِنت . تذكر دائما أنه صديقى الشريف .

إدمـــونـد : فى خدمتك يا سيدى النبيل .

كـــنــــت : إن واجبى يقضى بأن أعزّك وأنشد المزيد من معرفتى بك .

إدمـــونـد : سأعمل جاهدا على أن أكون جديرا بذلك يا سيدى .

جلوســتــر : لقد كان بالخارج مدة تسع سنوات . ولسوف يرحل إلى الخارج ثانية .

الملك مُقبل .

(صوت بوق . يدخل شخص حاملا تاجا يتبعه الملك لير ومعه كورنوول وأولبانى وجونريل وريجان وكورديليا والحاشية) .

لـيـــــر : اذهب يا جلوستر ورافق ملك فرنسا ودوق برجندى .

جلوســتــر : سمعا وطاعة يا مولاى .

(يخرج جلوستر ومعه إدموند)

لـيـــــــــر : والآن أيهـا النبـلاء سنكشف لكم عن نوايانا الخـفـيـة . ناولني هذه الخـريطة . إننا قـسـمنا مملكتنا إلى ثلاثة أقسـام ، فقد عقدنا العزم على أن ننفض عن شيخوختنا جميع الأعباء والمشـاغل وقررنا خلعها على الشباب الفتىّ، بينمـا نحن وقد زال عن كاهلنا هذا العبء الثقيل نزحف وئيـدا صـوب القـبـر . أنت يا ولدنا دوق كـورنوول ، وأنت يا ولدنا دوق أولباني الذى لا يقلّ عنه مـحبة لشـخصنا ، استـمـعـا إلىّ : لقـد اسـتـقـر رأينا على أن نعلن فى هذه السـاعة مقـدار صـداق[1] كل من بنـاتنا أو حصـتـهـا فى ميراث المملكة ، وذلك لكى نتفادى الآن مـا قد ينشب من خـلاف فى المسـتـقـبل . إن ملك فـرنسـا ودوق برجندى يتنافسـان فى طلب يد ابنتنا الصـغرى - لقـد مكثـا فى قـصـرنا يـخطبـان ودها مـدة طويلة وآن الآوان أن ينالا جـوابا . والآن يا بناتى ، لما كنا سـنخلـع عن أنفـسـنا مقـاليد الحكم ، وملكيـة الأراضـى وأعباء الدولة أخبِرننى من منكن تقنعنا بأنها تكنّ لشـخصنا أعمق الحب ؟ إننا سنهب الحصـة الكبرى لتلك التى تؤهلهـا لهـا جدارتها ومـحـبتـهـا معـا . جونريل يا ابنتنا الكبـرى . ابدئى أنت الكلام .

جـــــونـريل : مولاى . إن حبى لك يعجز عن وصفه الكلام . أنت أغلى عندى من نور عـينىّ وأعـز من الحـرية التى لا تعـرف الحـدود وأقيَم من كل مـاهو نادر وثمين ، أنت فى نظرى

لا تقل عن الحياة ذاتها وملؤها الجمال والفتنة والعافية والمجد . ويضاهى حبى لك حب أية بنت فى الدنيا لأبيها ومنا يمكن أن يلقاه أى أب فى الوجود . وإزاء حبى يصبح النَفَس قاصرا واللسان عاجزا . حبى لك يفوق كل هذه الأوصاف .

كورديليا : **(لنفسها)** ما عسى أن تصنع كورديليا إزاء كل هذا الكلام؟ أن تحب أباها فى صمت .

ليـــر : جعلناك سيدة على كل هذه المنطقة من هذه الحدود إلى تلك الحدود بغاباتها الظليلة وسهولها الغنية وأنهارها الزاخرة ومراعيها الشاسعة . هذه المنطقة ملك لذريتك وذرية دوق أولبانى إلى الأبد . ما الذى تقوله لنا ابنتنا الثانية ، ريجان العزيزة زوجة كورنوول ؟ تكلمى .

ريجـان : لقد جُبلت من نفس المعدن الذى جبلت منه شقيقتى ، لذا ليكن قـَدرى عندك هو قدرها . إننى أحس فى قرارة نفسى بأنها وصفت حقيقة حبى لك بل لعلها قد قصَرت فى وصفها بعض الشىء . فأنا ههنا أقر بأننى لا تستهوينى ألذ مباهج الحياة جميعها ولا أجد متعتى إلا فى حبك أنت يا مولاى العزيز .

كورديليا : **(لنفسها)** مسكينة يا كورديليا ! ومع ذلك فلست بالمسكينة حقا لأنى على يقين من أن حبى يفوق فصاحة لسانى .

ليـــــــر : لك ولذريتك إلى الأبد هذا الثلث الشـاسع من مملكتنا الجميلة . وهو لا يقل مساحة أو قيمة أو مسرّة عن ذلك الذى وهبناه لجونريل . والآن يا بهجة حياتنا وإن كنت أصغر بناتنا سنا وأقلهن حجما . أنت يامن يتنافس على حبك شباب فرنسا ذات الكروم ، وبيرجندى ذات المراعى والألبان . مـاذا تقولين لنا كى تحصلى على ثلث أغنى مما نالته أختاك ؟ قولى ما عندك .

كـورديليـا : لا شىء يا مولاى .

ليـــــــر : لا شىء ؟

كـورديليـا : لا شىء .

ليـــــــر : لا شىء حاصله لا شىء . تكلمى ثانيا .

كـورديليـا : أنا بائسة لا أستطيع أن أجعل فؤادى يبلغ فمى . أحبك يا صاحب الجلالة وفقا لما يقضى به واجبى ، لا أكثر ولا أقل .

ليـــــــر : مـاذا تقولين يا كورديليا ؟ مـا هذا الذى تقولينه ؟ أصلحى من كلامك بعض الشىء ، وإلا أفسـدت على نفسك مصيرك ومستقبلك .

كـورديليـا : مولاى الكريم . لقد أنجبتنى وشملتنى برعايتك وحبك . إزاء كل هذا أسلك بما يقتضيه واجبى فأطيعك وأحبك وأجلك عظيم الإجلال . هلا سألت أختىّ لماذا تعيشان مع زوجيهما إن صح ماقالتاه من أنهما لا يحبان أحدا سواك ؟ إن السيد الذى سيأخذ بيده عهد الزواج منى

– حين أتزوج – سيسعده أن يأخذ معه أيضا نصف حبى وولائى وعطفى . لا . يقينا لن أتزوج مثلما تزوجت أختاى إن كان قلبى لا يتسع لحب سوى حب أبى .

ليـــــر : أتتكلمين بصدق من أعماق قلبك ؟

كورديليا : نعم يا مولاى الكريم .

ليـــــر : أمن الممكن أن تكونى صغيرة السن وقاسية معا إلى هذا الحد ؟

كورديليا : إننى يا مولاى صغيرة وصادقة .

ليـــــر : حسن إذن . ليكن صدقك صداقك . وهأنذا أقسم بأشعة الشمس المقدسة وبأسرار الليل وإلهته هيكاتى ربة السحر ، وبكل فعال الكواكب التى هى مصدر حياة البشر وموتهم – هأنذا أقسم هنا بأنى أتخلّى عن رعايتى الأبوية لك وأتبرأ من نسبى وقرابتى . ومن الآن فصاعداً سيكون شأنك هو شأن الغريب علىّ وعلى قلبى. بل إن أهل سيكيثيا أنفسهم(٢) ، أولئك البرابرة المتوحشون الذين يأكلون بنهم لحم أولادهم وآبائهم لن يكونوا أنأى من فؤادى أو أقل إثارة لشفقتى ومدعاة لعونى منك أنت يامن كنت ذات يوم ابنة لى .

كـنـت : مولاى الكريم .

ليـــــر : اسكت يا كنت. لا تحشر نفسك بين التنين ومناط غضبه. لقد أحببتها أكثر مما أحببت الآخرين وراهنت بكل ما لدىّ على أنها سترعانى بحبها وعطفها . هيا اذهبى

بعيدا عنى واغربى عن ناظرى . ليهجر السلام قبرى إن لم أهب قلب أبيها سواها .

ادعوا ملك فرنسا . ماذا ؟ هل أصابكم الشلل ؟ أسرعوا وادعوا أمير برجندى أيضا . استمعا إلىّ يا كورنوول وأولبانى . أضيفا إلى ما أعطيتكما صداقًا لابنتى نصيب الثالثة ولتكن الكبرياء التى تسميها صراحة صداقها الذى تتزوج به . هأنذا الآن أخول لكما معا سلطتى وسلطانى وأسبغ عليكما جميع الحقوق والامتيازات التى تصاحب الملك . فيما يخص شخصنا سنقيم مع كل منكما شهرا بالتناوب ، مكتفين بحاشية تتألف من مائة فارس تتكفلان أنتما بنفقاتهم . وسنحتفظ لشخصنا فقط بلقب الملك وبكل ما يتبع ذلك من مراسم . أما مقاليد الحكم والدخل وسلطة التنفيذ فستكون فى أيديكما يا ولدىّ الحبيبين . وتأكيدا لذلك هذا هو التاج اقتسماه فيما بينكما .

كنت : يا مليكى لير الذى بجلّته دائما كمليكى وأحببته كوالدى وأطعته كما يطيع العبد سيده ودعوت له فى صلواتى بوصفه راعىَّ الأكبر .

لير : إن القوس مشدود يا كِنت فابتعد عن السهم .

كنت : الأفضل أن تدع السهم يفلت حتى وإن كانت رأسه ستخترق منطقة قلبى ليكن كِنت عديم الأدب حينما يفقد لير صوابه . ماذا تريد أن تصنع أيها الرجل العجوز ؟

أتظن أن الواجب سيجبن عن الكلام حينما ينحنى السلطان للتملق؟ إن الشرف يتمتم عليه أن يتكلم بصراحة . حينما يستسلم الملك للطيش . احتفظ بدولتك . تروَّ فى الأمر وضعْ حدًا لهذا الطيش القبيح. إنى أراهن بحياتى على أن صغرى بناتك ليست بأقلهن محبة لك. فليس بفارغى القلوب نوى الأصوات الخافتة التى لا تردد خواء.

ليـــــر : كفي يا كِنت وإلا دفعت حياتك ثمنًا .

كـــنـــت : إن حياتى ما كنت أعدها يوما إلا كبيرق أحارب به أعداءك ، رهينة لك . ما خشيت مطلقا أن أفقدها طالما كان الدافع هو سلامتك .

ليـــــر : اغرب عن عينىَّ .

كـــنـــت : أحسن النظر يا لير . دعنى أبقى هنا دائما ، عينك التى تبصر بها .

ليـــــر : قسما بأبوللو . (٣)

كـــنـــت : قسما بأبوللو أيها الملك ، إنك تقسم بآلهتك عبثا .

ليـــــر : يا وغد ! يا خسيس ! يا كافر ! (يضع يده على سيفه)

ألباني وكورنوول : أتوسل إليك يا مولاى العزيز .

كـــنـــت : امض واقتل طبيبك وكافئ الداء الخبيث ، استرد ما وهبت وإلا فطالما كان لى صوت أصرخ به فى حلقى قلت بئس ما فعلت .

ليـــــر : استمع إلى أيها الخائن . استمع لى بحق ولائك ! بما أنك حاولت أن تجعلنا نحنث بقسمنا وهو شىء

لم نجرؤ على صنعه حتى الآن ، وبما أنك بلغت من الكبرياء بحيث إنك حاولت أن تقف بين قرارنا وسلطاتنا وهذا شيء لا يمكن أن يحتمله طبعنا أو مركزنا ، ولكى نبرهن لك على أننا نعنى أكثر مما هو مجرد التهديد – ليكن هذا إذن هو جزاؤك : إننا نمنحك مهلة خمسة أيام لتهيئ لنفسك من المؤنة ما يدرأ عنك رزايا الدهر وفى اليوم السادس يتحتم عليك أن تولّى ظهرك المقيت مملكتنا . وإذا وجد هيكلك المنفىّ على أرض مملكتنا فى اليوم العاشر كان عقابك هو الموت فى الحال . اذهب . بحق الإله جوبتر إن هذا القرار لا رجعة فيه .

كنت : وداعا أيها الملك . مادمتَ تريد أن تظهر فى هذا المظهر فالحرية تعيش بعيدا فى المهجر والمنفى هو ههنا .
(إلى كورديليا) لتشملك الآلهة برعايتها أيتها الفتاة يا صاحبة الفكر السليم والقول الحق . **(إلى جونريل وريجان)** أما أنتما فلعل فعالكما تؤيد كلامكما العريض فتصبح ثمرة كلام الحب هى الفعال الطيبة .
أيها الأمراء هاهو كِنت يودعكم جميعًا . إنه سيسلك سبيله القديم فى بلد جديد . **(يخرج)**
(يسمع صوت أبواق . يعود جلوستر ومعه ملك فرنسا وأمير برجندى وحاشيته)

جلوستر : مولاى النبيل ها هو ذا جلالة ملك فرنسا وأمير برجندى.

لـيـــــــــر : سيدى أمير برجندى . إننا نوجه الحديث أولا إليك يامن يتنافس مع هذا الملك فى خطبة ود ابنتنا . قل لى ما هى أدنى هدية زواج تطلبها معها الآن وإلا أبطلت سعيك فى الحب؟

برجـنـدى : يا صاحب الجلالة . لست أطلب أكثر مما عرضتَه علىّ وجلالتك لن تعرض أقل منه .

لـيـــــــر : هكذا كان قدرها يا أمير برجندى النبيل حينما كانت غالية عندنا . أما الآن فقد هبط ثمنها . سيدى هاهى ذى ماثلة أمامك الآن . إذا كان يستهويك شىء فى هذا الكائن الضئيل المظهر أو إذا كان يستهويك كله مضافا إليه سخطنا ولا شىء غير ذلك . إذا كنت تقبل هذا وتعتبره جديرا بشخصك النبيل فهى لك .

برجـنـدى : ليس لدىّ جواب على هذا .

لـيـــــــر : الآن وقد عرفت ما فيها من نقائص وعلمت أنها لا صديق لها وأنها أصبحت فى الحال ربيبة سخطنا وأننا أقسمنا على التبرؤ منها وأن لعنتها هى صداقها الوحيد الذى نمنحها إياه – أتريد أن تأخذها أم تتركها؟

برجـنـدى : عفوا يا مولاى . ليس بوسع أحد أن يختار فى مثل هذه الظروف .

لـيـــــــر : لتتركها إذن يا سيدى . فقسما بقدرة من خلقنى لقد أخبرتك بكل ثروتها . (إلى ملك فرنسا) أما أنت يا ملك فرنسا العظيم ، فإننى لا أريد أن أجانب حبك بحيث أزوجك بمن أكره . لذا أرجوك أن تتوجه بنظرك ورعايتك

إلى من هو أجدر من مجرد امرأة بائسة تكاد تخجل الطبيعة من الاعتراف بنسبتها إليها .

ملك فرنسا : إنه لأمر عجيب ! لقد كانت منذ لحظات أعزّ شخص عندك وموضع ثنائك وإطرائك وبلسم شيخوختك . كانت أفضل الناس وأغلاهم ، وإذا بها فى تلك الهنيهة من الوقت تقترف إثما رهيبا إلى حد يجعلها تتعرّى من كل ما كانت تتشح به من ثياب المحبة والإيثار العديدة هذه ! لابد أن يكون ذنبها قد بلغ أقصى درجة من الشناعة والفظاعة بحيث يفسد حبك الماضى لها . وهذا شيء لا يمكننى أن أصدقه عنها بعقلي وحده ، اللهم إلا إذا حدثت معجزة لتغير من رأيى .

كورديليا : أتوسل إليك يا صاحب الجلالة ! حتى وإن كنتَ قد غضبت علىّ لأنى يعوزنى ذلك الفن الذهنى الزلق الذى يمكن المرء من معسول الكلام وبذل الوعود وهو فى نيته عدم التنفيذ فأنا من طبعى أن أعمل ما فى نيتى صنعه قبل أن أتحدث عنه – أتوسل إليك أن تعلن على الملأ أن الذى حرمنى عطفك ومحبتك لم يكن وصمة من الرذيلة أو جريمة قتل أو فعلا موبقا دنسا أو شيئا ينافى العفة والشرف ، بل هو افتقارى إلى ما أعدّ نفسى غنية بدونه: ألا وهو عين نهمة دائما ولسان أغتبط لغيابه وإن كان عدم توفره عندى قد قضى على محبتك لى .

لير : كان الأفضل أن لا تولدى من أن تسببى لى هذا الكدر .

ملك فرنسا : أهذا هو كل ما فى الأمر ؟ تحفظ فى الطبع من شأنه أن يجعل المرء لا يبوح عادة بما ينوى عمله ؟ يا أمير برجندى ، ماذا تقول للأميرة ؟ إن الحب ليس حبا حينما تشوبه اعتبارات دخيلة بعيدة عن الجوهر . أتقبلها زوجة لك ؟ إنها فى ذاتها هدية نفيسة .

برجندى : يا صاحب الجلالة . أعطنى فقط تلك الحصة التى اقترحتها جلالتك ، تجدنى آخذ كورديليا بيدها هنا وأجعلها دوقة برجندى .

لير : لا شىء . لقد أقسمت ولن يثنينى عن عزمى شىء .

برجندى : يؤسفنى إذن يا كورديليا إنك بفقدك أبًا هكذا يتحتم عليك أن تفقدى زوجا أيضا .

كورديليا : ليهدأ بال أمير برجندى . إذا كان ما يحبه هو المركز والثروة فلن أكون زوجة له .

ملك فرنسا : أيتها الأميرة الحسناء كورديليا . إنك بفقرك غنية كل الغنى وأعز ما ينشده المرء وأنت منبوذة هكذا ، وأحب شخص إلى نفسى رغم ما لقيته من الإهانة . إننى أعلن هنا أننى آخذك وآخذ معك فضائلك ، ومن المشروع أن آخذ لنفسى ما نبذه الغير . بحق الآلهة إن حبى لك ليجعل ما لقيته من البرود والإهمال يوقد فى نفسى مشاعر الإجلال والإكبار نحوك . إن ابنتك التى حرمتها من الصداق يا صاحب الجلالة قد أصبحت من نصيبنا وهى الآن ملكتنا وملكة ما نملك وملكة فرنسا الجميلة .

ولن يستطيع جميع أمراء برجندى الرخوة السيّالة بمياهها أن يبتاعوا منى هذه العذراء النادرة التى يفوق قدرها الحصر وإن لم يقدرها الغير . ودّعى أهلك يا كورديليا وإن كانوا قساة عليك . لقد فقدت هذا المكان ولكنك ستجدين مكانا خيرا منه .

ليـــــر : هى لك يا ملك فرنسا . لتكن من نويك فنحن ليس لدينا ابنة من هذا القبيل . لا ولن نرى وجهها بعد اليوم . اذهبى دون أن يصحبك عطفنا وحبنا وبركاتنا . تعال يا أمير برجندى النبيل .....

(صوت أبواق . يخرج لير وبرجندى وكورنوول وأولبانى وجلوستر والحاشية)

ملك فرنسا : ودّعى أختيك .

كورديليا : إن كورديليا بعينين دامعتين تترككما يا جوهرتى أبى . أنا أعرفكما على حقيقتكما وبوصفى أختكما لأشدّ ما يسيئنى أن أذكر عيوبكما صراحة . ليكن أبى موضع حبكما . إنى أستودعه حضنكما الذى أعلنتما عما فيه من حب . ومع ذلك فلو كنت لا أزال موضع حبه وعطفه لنصحته بأن يشغل مكانا أفضل . وداعا .

ريجـــان : لا تلقنينا واجبنا .

جونريل : ليكن شغلك الشاغل الآن هو إرضاء زوجك الذى أخذك خاوية الوفاض . لقد قصّرت فى طاعة أبيك وتستحقين ما نزل بك من خسارة .

كـورديليـا : ستظهر الأيام ما يخفيه المكر والرياء . فأولئك الذين يخفون الخبث واللؤم سينفضح أمرهم في نهاية الأمر .
أتمنى لكما التوفيق .

ملك فرنسا : تعالى يا جميلتى كورديليا .

(يخرج ملك فرنسا وكورديليا)

جـونريل : اسمعى يا أختى . عندى كلام كثير أود أن أقوله لك فى موضوع فى غاية الأهمية يخصنا أنا وأنت ، أظن أن أبانا سيرحل هذا المساء .

ريجـان : بكل تأكيد سيرحل معك وفى الشهر التالى سيقيم معنا .

جـونريل : أرأيت كيف أنه أصبح سريع التغير والتقلب فى شيخوخته ؟! إن ما شاهدناه الآن ليس بالشىء الهيّن : لقد كان دائما يؤثر بحبه أختنا ومع ذلك فقد نبذها الآن بحماقة لا تخفى على أحد .

ريجـان : إنه ضعف الشيخوخة ، هذا وإن كان دائما عاجزا عن معرفة نفسه .

جـونريل : لقد كان متهورا دائما حتى فى أفضل مراحل عمره وأقواها . وهكذا فينبغى لنا ألا نتوقع منه فى شيخوخته ليس فقط تلك العيوب التى رسخت فى نفسه منذ زمن طويل ، وإنما نتوقع أن نجد أيضا غرابة الأطوار والنزوات التى تصاحب الشيخوخة بما تتميز به من عجز وسرعة الغضب .

ريجـــــان : نعم من المحتمل أن نرى منه تلك النزوات الفجائية أمثال ما ظهر فى مسألة نفى كنت .

جــــونريل : لا يزال عليه أن يقوم بتوديع ملك فرنسا رسميا . دعينا ننسق جهودنا معا . فإذا كان أبونا بما رُكّب فى طبعه من نزوات وتقلبات سيظل يمارس سلطته على الرغم من اعتزاله مقاليد الحكم فلن يكون فى ذلك سوى إثارة المشاكل . .

ريجـــــان : ينبغى لنا أن نولى الموضوع المزيد من التفكير .

جــــونريل : نعم . لابد أن نعمل شيئا وذلك قبل فوات الأوان .

(تخرج جونريل وريجان)

المشهد الثانى

(قلعة النبيل جلوستر)

(يدخل إدموند ممسكا بخطاب فى يده)

إدمـــــوند : أنت معبودتى أيتها الطبيعة وصلواتى قصر على شريعتك . لماذا إذن أتكل على وباء العرف وأسمح للمتحذلقين فى القانون بحرمانى من ميراثى لا لشىء إلا لكونى تخلفت عن أخى زهاء اثنى عشر أو أربعة عشر شهرا ؟ لماذا يدعوننى بابن الحرام ؟ ولِم - يسموننى بالوضيع على حين أن أعضاء جسمى لا تقل تناسقا ولا تقل نفسى كرامة ولا قسماتى شبها بأبى عن خَلْف الأم العفيفة ؟ لماذا يدمغوننا بالزنا والوضاعة ؟ نحن وضعاء، وضعاء؟ نحن الذين نكتسب إبّان الشهوة الحرام التى تختلسها الطبيعة معدنا أقوى وصلابة وعنفوانا أشد مما تكتسبه قبيلة بأسرها من الأغبياء الذين تعلق بهم

أمهاتهم من أزواجهن في لحظة بين اليقظة والنوم وعلى فراش منهك مكدود مفعم بالسأم والضجر. إذن يا إدجار. أيها الابن الشرعي لابد لي أن أستولى على أرضك . إن حب والدنا لإدموند ابنه غير الشرعي لا يقل عن حبه للابن الشرعي. ما أحسنها من لفظة هذه الكلمة شرعي! طيب أيها الابن الشرعي . إن هُيِّئ التوفيق لهذا الخطاب ونجحت خطتي ، سما إدموند الوضيع على الابن الشرعي . سأنمو وأثرى . أيتها الآلهة أيّدي أولاد الحرام .

(يدخل جلوستر)

جلوستر : أهكذا يُنفى كنت ؟ ويرْحل ملك فرنسا عنا غاضبا ؟ ويذهب الملك لير مساء الأمس بعد أن حدّ من سلطانه فما ترك لنفسه من المال سوى راتب ضئيل يقيم به أوده؟ كل هذا يتم فجأة هكذا ؟ هات يا إدموند ما عندك من الأخبار ؟

إدموند : لا شيء يا مولاى (يخفى الخطاب فى جيبه)

جلوستر : لماذا تحاول جاهدا أن تخفى هذا الخطاب فى جيبك ؟

إدموند : ليس عندى أى أخبار يا سيدى .

جلوستر : ما تلك الورقة التى كنت تقرؤها ؟

إدموند : لا شيء يا سيدى .

جلوستر : لا شيء ؟ ما الذى جعلك إذن تسرع فى إخفائها مذعورا فى جيبك ؟ إن اللا شيء ليس بحاجة إلى الإخفاء. أرنى.

تعال . وإذا كانت حقيقة لا شيء فلن أحتاج إلى نظارة للقراءة .

إدمـــــوند : أتوسل إليك يا سيدى أن تعفينى من ذلك . إنه خطاب من أخى لم أكمل قراءته . ولكن ما قرأته منه هو فى نظرى لا يليق بك أن تراه .

جلوســتــر : أعطنى هذا الخطاب يا سيد .

إدمـــــوند : إننى مسىء سواء إن أنا حجزته أو سلمته . إن فحواه بالقدر الذى فهمته منه لم يلام عليه .

جلوســتــر : أرنى . أرنى .

إدمـــــوند : أرجو لصالح أخى أن يكون قد كتب هذا الخطاب لكى يمتحن مدى إخلاصى لك . لا أكثر .

جلوســتــر : (يقرأ الخطاب) : «إن سياسة تبجيل الشيخوخة هذه لا تسبب لنا ونحن فى زهرة العمر سوى مرارة العيش . فهى تحول بيننا وبين ثروتنا حتى تصل بنا السن إلى حد لا يمكننا معه الاستمتاع بها . لقد بدأت أحس بأن ظلم الطاغية العجوز مرده فى الواقع عبودية وحماقة منا . فهو لا يفرض علينا سلطانه لأنه أقوى منا بل لأننا نحتمله ونخنع له . تعال إلىّ لكى أزيدك حديثا فى هذا الموضوع . فإنه لو أمكن أن ينام أبونا دون يقظة كان لك أن تستمتع بنصف إيراده إلى الأبد وتعيش حبيب أخيك. إدجار» ها ! مؤامرة ! «لو أمكن أن ينام أبونا دون يقظة كان لك أن تستمتع بنصف إيراده» إدجار ابنى ! أتقوى

يده على كتابة هذا الكلام ؟ ويقوى قلبه وذهنه على توليد هذه الأفكار ؟ متى جاءتك هذه الرسالة ؟ من الذى سلّمها لك ؟

إدمـــوند : لم يسلمها لى أحد يا مولاى ، وهذا هو عين المكر . لقد وجدتها ملقاة عند نافذة غرفتى .

جلوستـــر : أمتأكد أنت من أن الخط هو خط أخيك ؟

إدمـــوند : لو كان فحوى الكلام طيبا يا مولاى لأقسمت بأنه خطه . لكن ، والحال هذه ، لا أظن أنه خطه .

جلوستـــر : قل لى هل هو خطه أم لا .

إدمـــوند : هو خطه يا سيدى . ولكنى أرجو ألا يكون قلبه فى مضمون الكلام .

جلوستـــر : ألم يسبق أن جسّ نبضك فى هذا الموضوع ؟

إدمـــوند : أبدا يا سيدى ، وإن كنت قد سمعته مرارا يقول إنه حينما يكون الأبناء قد بلغوا سنّ الرشد والآباء قد طعنوا فى الشيخوخة ينبغى حينئذ أن يصبح الابن وصيًا على الأب يصرف شئون دخله .

جلوستـــر : المجرم ! المجرم ! إنه عين الرأى الذى تعبّر عنه هذه الرسالة . المجرم المقيت ! الشاذ الحقير الحيوان ! أحط من حيوان ! اذهب يا إدموند وابحث عنه . نعم سألقى القبض عليه . المجرم البشع ! أين هو الآن ؟

إدمـــوند : لا أدرى يا سيدى . من الحكمة يا مولاى إن شئت أن تؤجل غضبك على أخى بعض الوقت حتى تستخرج منه

دليلا أشد يقينا على خبث نيته . إنك إن أخطأت فى تقدير طبيعة نيته وسلكت مسلك العنف ضده صدعت بذلك شرفك صدعا، وحطمت قلب طاعته لك. إننى أراهن بحياتى على أنه لم يكتب هذا الكلام إلا لكى يختبر مقدار حبى لك يا مولاى ، لا لأى قصد آخر شرير .

جلوستر : أتظن ذلك ؟

إدموند : إن وافقت يا سيدى دبرت مقابلة لى معه فى مكان يمكنك أن تستمع منه إلى محادثتنا فى هذا الموضوع وتطمئن قلبك حين تسمع كلامه بأذنيك . سأهيئ ذلك فى أقرب فرصة ولن تكون أبعد من هذا المساء .

جلوستر : إنه لا يمكن أن يكون وحشاً إلى هذا الحد ...

إدموند : يقيناً لا .

جلوستر : إزاء والده الذى يحبه كل الحب ويعطف عليه . ياالسماء والأرض ! اذهب يا إدموند وفتش عنه واختبر لى دخيلته ونواياه بحذر ، أرجوك . دبّر هذه المسألة بما تقتضيه حكمتك أنت . فإنى أريد أن أصل إلى اليقين فى هذا الموضوع بأى ثمن حتى ولو كلفنى ذلك مركزى وثروتى .

إدموند : سأذهب وأبحث عنه يا سيدى فى التو ، وأدبر المسألة بكل السبل وأخبرك بما يتم .

جلوستر : إن ما نراه هذه الأيام من كسوف الشمس وخسوف القمر لا ينبئ عن خير . حقا إن حكمة الإنسان تجد له تفسيرات عديدة يستسيغها العقل . إلا أن النتائج التى

يسـفـر عنهـا ليست سـوى المصـائب والكوارث لبنى الإنسـان: فـالحب يفتر والصداقة تنهار وينشقّ الأخ على أخيه ، وفى المدن نجد العصيان وفى الدول النزاع وفى القصور الخيانة ، وتنفصم عرى المحبة بين الابن وأبيه . فها هو ذا الوغد ابنى مثل لهذه النبوءة : ابن يثور على أبيه .. وها هو الملك يحيد عن السلوك الطبيعى فيصبح مثلاً للأب الذى يقف ضد ولده . لقد رأينا خيرا ما قدر لنا أن نراه . أما بعد اليوم فلن نشاهد سوى المؤامرات والخيـانات والزيف وفـوضى التـخـريب تقـتـفى أثرنا بضجيجها حتى نبلغ اللحد . فتش عن الوغد يا إدموند . فتش عنه وكن جادا حريصا فى بحثك فلن تخسر بذلك شـيـئًا . ثم ها هـو ذا كِنت النبيل المخلص حُكم عليـه بالنفى. ومـا هى جريرته ؟ أمـانتـه وصـدقـه ! إنه لأمـر عجيب ! (يخرج)

إدمـــــونـد : أليس هذا منتهى الغباء فى العـالم ؟ حينمـا تضطرب أمورنا – وهذا غالبا مـا يكون نتيجة إفراط فى سلوكنا نحن – ترانا ننحى باللائمة على الشمس والقمر والنجوم ونجعلها هى المسئولة عن كوارثنا ؟ كما لو كنا أشرارا بالضرورة ، حمقى بدافع جبرى من السمـاء ، وأوغادا ولصوصا وخونة بتـأثير سلطان الأفلاك علينا ، سكيرين وكذّابين وزناة بسبب طاعتنا الحتمية لأوامر الكواكب ، وكما لو كان كل شر فى نفوسنا نتيجة دافع علوى خارج

عن إرادتنا . وهكذا يجد الإنسان الفاسق مهربا رائعا لنفسه فينسب مزاجه الشهواني إلى فعل نجم من النجوم. لقد التحم أبي بأمي تحت نيل التنّين واتفق أن ولدتُ ساعة الدب الأكبر ، ومن ثمّ كنت عنيفًا شهوانيا . ياللهراء فحتى لو كان أطهر النجوم هو الذى يتألق فى أديم السماء ساعة أن حملتنى أمى سفاحا لكنت كما أنا عليه فى كل شىء . إدجار

(يدخل إدجار)

ها هو ذا يقبل فى التو بمجرد أن يراد مجيئه مثل حلول العقد فى نهاية المسرحيات القديمة . أما دورى أنا الآن فهو أن أقوم بتمثيل الكآبة الشقية وأتنهد مثل توما المجذوب[٤] آه ! إن تكرار خسوف القمر هذا لينذر بصنوف الشقاق . (يغنى) : فا – صول – لا – مى

إدجار : أهلا بك يا أخى إدموند ؟ فيم تفكر وأنت واجم هكذا ؟

إدموند : أفكر يا أخى فى نبوءة قرأتها منذ بضعة أيام تنبأها أحدهم نتيجة لتكرار خسوف القمر .

إدجار : أتشغل ذهنك بمثل هذه الأمور ؟

إدموند : أقول لك إن ما تنبأ به من أحداث يتحقق للأسف : مثل التصرفات غير الطبيعية بين الأبناء والآباء ، الموت والقحط وانبتار الصداقات القديمة ، والانقسامات فى الدولة ، واللعنات والتهديدات ضد الملك والنبلاء ، والشكوك والريب التى لا مبرر لها ، ونفى الأصدقاء ،

وتبدد شمل الزملاء وانفصام عرى الزواج وغير ذلك من شتى ألوان الشقاء .

إيجـــــار : ومنذ متى كنت من المؤمنين بالتنجيم ؟

إدمـــــوند : متى رأيت أبى آخر مرة ؟

إيجـــــار : ليلة الأمس .

إدمـــــوند : وهل تحدثت إليه ؟

إيجـــــار : نعم ، طيلة ساعتين كاملتين .

إدمـــــوند : وهل كنتما على وئام حين افترقتما ؟ ألم تلحظ فى كلامه أو فى قسمات وجهه أى علامة من علامات الغضب ؟

إيجـــــار : لم ألحظ ذلك على الإطلاق .

إدمـــــوند : حاول أن تتذكر جيدا ما إذا كنت قد جرحت شعوره فى شيء . وأتوسل إليك أن تتجنبه بعض الوقت ريثما يلطف الزمن من حدة غضبه الذى تبلغ ثورته الآن حدا لن يخفف منه ما يسببه مثولك أمامه من أذى .

إيجـــــار : لابد أن وغداً قد وشى بى .

إدمـــــوند : هذا هو ما أخشاه يا أخى . أرجوك أن تملك زمام نفسك وتتجنب أبى حتى تيئد غضبه الجارف . تعال وانزل عندى فى بيتى حالاً . وسأهيئ الأمر بحيث تستطيع أن تختبئ وتسمعه يتحدث عنك . أرجوك . اذهب إلى بيتى . هاهو مفتاح البيت . خذه . وإذا خرجت فلا تمش بدون سلاح .

إيجـــــار : بدون سلاح يا أخى ؟

إدمـــــونـد : أجل يا أخى . إنى أنصحك بما فيه خيرك . لن أكون صادقا معك إن قلت لك إن النية إزاءك حسنة لقد أخبرتك بما رأيته وسمعته . ولكنى لم أعرض لك سوى صورة باهتة لا يتضح فيها مقدار ما فى الواقع من رعب وهول . أتوسل إليك أن تذهب .

إيجـــــار : وهل سأسمع منك قريبا ؟

إدمـــــونـد : إنى أخدمك فى هذه المسألة .

(يخرج إيجار)

أب أبله يصدق كل شىء ، وأخ نبيل طبيعته بمنأى عن إلحاق الأذى بالغير بحيث إنه لا يشك مطلقا فى نوايا أحد؛ ولذلك فهو بغفلته وأمانته مطيّة سهلة لألاعيبى . إن المسألة واضحة فى ذهنى الآن ! لأحصلن على الميراث بدهائى إن لم أحصل عليه بحق ميلادى . وكل ما أراه مناسبا لتنفيذ خطتى فهو مقبول لدىّ .

(يخرج إدموند)

المشهد الثالث

(غرفة فى قصر دوق أولبانى)

(تدخل جونريل وأوزولد رئيس خدمها)

جونريل : أصحيح أن أبى ضرب حاجبى لأنه أنّب البهلول ؟

أوزولد : نعم يا مولاتى .

جونريل : ليل نهار يسىء إلىّ . وكل ساعة يندلع غضبه فى صورة إهانة بالغة تثير الخلاف والنزاع فيما بيننا جميعاً . لا . لن أحتمل ذلك بعد الآن . إن فرسانه يزدادون صخباً وهو نفسه ينهرنا لأتفه الأسباب . لن أكلمه عندما يعود من الصيد . قل له إنى متوعكة . وتحسن صنعًا إن قصرت فى خدماتك السابقة . لا تخش شيئًا فالمسئولية تقع علىّ أنا .

أوزولد : إنه قادم يا مولاتى . فأنا أسمع صوته (صوت أبواق من الداخل) .

جونريل : أضيفوا على أنفسكم أنت وزملائك ما تشاءون من مظاهر الإهمال والضجر فإني أريد أن أستثيره لمناقشة الوضع . وإن لم تعجبه الحال فليذهب إلى أختى وأنا أعلم أنها متفقة معي تمامًا على أننا لن نخضع لحكمه . ما أحمقه من رجل عجوز يريد أن يظل يتمتع بتلك السلطات التي قد تخلى عنها بنفسه . قسمًا بحياتي إن الشيوخ الحمقى يعودون أطفالاً من جديد . وعلى المرء أن يكبح جماحهم بدلاً من أن يتملقهم ويداهنهم حين يبدو أن الوهم قد بلغ منهم مبلغه . تذكر ما قلته لك .

أوزولد : حسنًا يا سيدتي .

جونريل : ولتظهروا لفرسانه برودًا أشد ولا يهمكم ما ينتج عن ذلك. قل لزملائك أن يتصرفوا كما شرحت لك ، فإني أريد أن أختلق من ذلك فرصة لمناقشة الوضع معه . هذا هو ما سأفعله . وسأكتب مباشرة إلى أختي لأطلب منها أن تسلك معه نفس المسلك جهزوا الغداء .

(يخرجان)

المشهد الرابع

(قاعة فى نفس القصر)

(يدخل كِنت متخفيًا)

كِنت : إن استطعتُ أيضًا أن أغيّر لهجتى فى الكلام فقد أتمكن من أن أحقق تمامًا الهدف النبيل الذى من أجله حلقت لحيتى وغيرت شكلى . إيه يا كِنت المنفىّ . إن أمكنك أن تقدم خدماتك فى المكان الذى أنت محكوم عليك بالإعدام فيه فإن مولاك الذى تكنّ له أعمق الحب قد يجدك جمّ النشاط فى خدمته .

(أبواق صيد من الداخل - يدخل لير وفرسان وحاشية)

ليـر : الغداء حالاً ! لا تجعلونى أنتظر الغداء ولو لحظة واحدة. اذهب واطلب منهم أن يعدوه (يخرج أحد الحاشية) إيه ؟ من أنت ؟

كِنت : رجل يا سيدى .

ليـــــــر : ماذا تعمل ؟ وماذا تريد منا ؟

كِـــنــــت : لست أقل شـأنًا مما يدل عليـه مظهرى . أخدم مخلصًا من يثق بى ، وأحب من كان صادقًا ، وأرافق من كان حكيمًا قليل الكلام . أخشى الإدانة . أقاتل حين لا سبيل إلا القتال ولا آكل الطعام المحرّم .

ليـــــــر : من أنت ؟

كِـــنــــت : رجل صادق شديد الإخلاص ، وفقير مثل الملك .

ليـــــــر : إن كان فقرك بين الرعية قد بلغ فقره بين الملوك فأنت فقير جدًا . ماذا تريد ؟

كِـــنــــت : أن أخدم .

ليـــــــر : تخدم من ؟

كِـــنــــت : أخدمك أنت .

ليـــــــر : أتعرف من أنا أيها الرجل ؟

كِـــنــــت : لا يا سيدى . ولكنى أرى فى هيئتك ما يجعلنى أريد أن أسميك سيداً .

ليـــــــر : وما هو ذلك ؟

كِـــنــــت : السلطان .

ليـــــــر : وأى خدمات تستطيع أن تؤديها ؟

كِـــنــــت : أستطيع أن أكتم السر إن كان شريفًا . أجيد ركوب الخيل والجرى . أعرف كيف أفسد القصة البديعة بروايتى إياها وكيف أبلّغ الرسالة البسيطة بدون تزويق . ما يصلح لعمله الرجال العاديون أنا مؤهل لأن أعمله . وأهم ما أتميز به هو الاجتهاد .

لـيـــــــر : كم عمرك ؟

كِـــنـــت : لست حديث السن يا سيدى بحيث أهوى امرأة لغنائها ولست كبير السن بحيث أعشقها لأى سبب كان . أحمل على كاهلى من السنين ثماني وأربعين .

لـيـــــــر : اتبعني واخدمني وإذا كنت لا أزال راضيًا عنك بعد الغداء فلن نفترق . الغداء يا ناس ! الغداء ! أين الشقىّ بهلولى ؟ اذهب أنت واطلب من بهلولى أن يأتى إلىّ .

(يخرج أحد الحاشية)

(يدخل أوزولد)

أنت يا هذا ! قل لى . أين ابنتى ؟

أوزولـــــد : اسمح لى – (يخرج)

لـيـــــــر : ماذا قال ذلك الإنسان ؟ اذهب واطلب من الأبله أن يعود. (يخرج فارس) أين بهلولى يا قوم؟ يبدو أن الناس نيام . (يعود الفارس) ماذا حدث ؟ أين ذلك الكلب ؟

الفـــــارس : يقول يا مولاى إن ابنتك متوعكة .

لـيـــــــر : ولماذا لم يعد السعيد حين أرسلت فى طلبه ؟

الفـــــارس : مولاى . لقد قال لى بأوقح أسلوب إنه لا يريد أن يعود .

لـيـــــــر : لا يريد !

الفـــــارس : مولاى، لا أعرف ما حدث. ولكنى أرى أن جلالتك لم تعد تُعامَل بما تعودتم عليه من الحفاوة والإكرام . ويبدو لى أن هناك فتوراً شديداً فى المودة والترحيب سواء فى سلوك الدوق نفسه وابنتكم أو فى سلوك أتباعهما .

لـيـــــــــر : أتقول ذلك ؟

الفـــــارس : أرجو أن تغفر لي يا مولاى إن كنت مخطئًا فى تقديرى . إن واجبى لا يقدر على الصمت حين أظن أن إهانة ما قد لحقت بجلالتك .

لـيـــــــــر : ما فعلتَ أكثر من أنك أيقظت ظنونى . لقد أحسست ببعض الإهمال أخيراً فآثرت أن أعزو ذلك إلى إفراطى في الغيرة على كرامتى على أن أعتبره فظاظة وتقصيراً مقصوداً من ناحيتهم . سأبحث الموضوع فيما بعد . ولكن أين بهلولى ؟ إننى لم أره منذ يومين .

الفـــــارس : إن البهلول قد أوهنه المرض والهم منذ رحيل سيدتى الصغرى إلى فرنسا يا مولاى .

لـيـــــــــر : كفى ! لقد لاحظت أنا ذلك أيضًا . اذهب وقل لابنتى إننى أود أن أتحدث إليها . **(يخرج أحد الحاشية)**
وأنت اذهب وادعُ لى بهلولى **(يخرج أحد الحاشية)**
(يعود أوزولد)
أنت يا هذا ! تعال هنا ، أيها الرجل . قل لى من أنا ؟

أوزولـــــــد : والد مولاتي .

لـيـــــــــر : والد مولاتى ! يا عبد مولاك يا حقير ! يا ابن العاهرة ! يا كلب . يا عبد ، يا وغد !

أوزولـــــــد : لست شيئًا من ذلك يا مولاى . من فضلك . أرجوك .

لـيـــــــــر : أترد علىّ يا دنىء ! **(يصفعه)**

أوزولـــــــد : لا بسيدى . لن يصفعنى أحد .

كِـــنــــت : لا ولن يكعبلك . يا سافل[٥] **(يوقعه بأن يعرقل قدميه)**

ليـــتــــر : أشكرك يا رجل . سأستخدمك وأكرمك .

كِـــنــــت : انهض يا هذا واخرج . سأعلمك كيف تحترم أسيادك اذهب اخرج أو ابق إن كنت تريد أن تقيس طول شحمك على الأرض مرة ثانية . اخرج . هل فقدت صوابك ؟ **(يخرج أوزوالد)** . مع السلامة !

ليـــــــر : أشكرك يا خادمي المخلص . وهاك عربون الصداقة **(يعطي كِنت نقودًا) (يدخل بهلول)**

بـــهـــلـــول : دعني أستأجره أنا أيضًا . هاك طرطوري[٦] **(يقدم طرطوره لكِنت)**

ليـــــــر : أهلا ! أهلا ! يا ولد يا ظريف ! كيف حالك ؟

بـــهـــلـــول : **(موجهًا كلامه إلى كِنت)** يا حضرة . خير لك أن تأخذ طرطوري .

كِـــنــــت : ولماذا يا بهلول ؟

بـــهـــلـــول : لماذا ؟ لأنك تعضّد الطرف الخاسر . إن كنت لا تستطيع أن تميل مبتسما مع اتجاه الريح أصابتك نوبة برد بعد قليل لذلك خذ طرطوري . ألا ترى أن هذا الرجل قد نفى اثنتين من بناته وبارك الثالثة عن غير قصد ؟ إن تبعته يلزمك أن تلبس طرطوري . كيف حالك الآن يا عمّي ؟ ليت لي طرطورين وابنتين !

ليـــــــر : ولماذا يا ولد ؟

بــهــلــول : لأنه إن أعطيتُهما كل ما أملك أمكنني أن أحتفظ بطرطوري.
هاك طرطوري واستجدِ طرطوراً آخر من ابنتيك .

لـيـــــر : حَذارِ يا هذا وإلا فالسوط .

بــهــلــول : الصدق في الكلام كالكلب الحقير يُضرب بالسوط ويُطرد إلى الخارج ليذهب إلى عقر الكلاب ، بينما حضرة الكلبة النبيلة برائحتها الكريهة يسمح لها بالبقاء داخل الدار للتدفئة قرب نار المدفأة .

لـيـــــر : شيء مؤلم ! مُرٌّ كالعلقم ! (٧)

بــهــلــول : دعني أعلمك كلمة حكمة تقولها يا حضرة .

لـيـــــر : افعل

بــهــلــول : أنصت يا عمي :

لتملكنْ أكثر مما تُظهرنْ
ولتلفظن أقل مما تعلمن
ولتُقرضن أقل مما تملكن
ولتركبن أكثر مما تمشين
ولا تصدّق كل ما تسمعن
ولا تقامر مرة واحدة بكل ما قد تلبس
لا تقرب الخمر ولا النساء واعتكف
في عقر دارِكَ
يكن لكَ
أكثر من عشرين درهمًا
في كل عشرتين .

كِـــنـــت : هذا كلام فارغ يا بهلول . لا يساوى شيئًا .

بـــهـلـــول : إذن فهو مثل نَفَس محامٍ لم يدفع له أجره . أنت لم تدفع لى شيئًا فيه. ألا يمكنك أن تستفيد من لا شيء يا عمى؟

ليـــــر : طبعًا لا يا غلام . لا شيء حاصله لا شيء .

بـــهـلـــول : (إلى كِنت) أرجوك أن تقول له إن هذا هو حصيلة إيراده من أملاكه ..فهو لا يصدق مجرد بهلول .

ليـــــر : يا لك من بهلول لاذع مُرٌّ .

بـــهـلـــول : أتعرف الفرق بين البهلول المرّ والبهلول الحلو يا غلام ؟

ليـــــر : لا يا صبيّ . علّمنى .

بـــهـلـــول : إن الذى قـد نـصـحـك — أن تهب البـتـتين ملككْ
دعــه يـقـف بجــانبى — تعـالَ مـثّل دوره مـعى
حـينئذ يـتضـح الفـارق — بين الحـلو والمريـر لك
فههنا البهلول ذو الثوب — المــزركــش المــرقــع
والآخــر المغــفل المرّ — تراه واقــفــا مـــعى

ليـــــر : أتدعونى بهلولا مغفلا يا ولد ؟

بـــهـلـــول : لقد تنازلت عن كل ألقابك الأخرى . أما هذا اللقب فهو ما كنت تحمله عندما وُلدت (٨) .

كـــنـــت : هــذا الشخص يا سيدى ليس مجرد بهلول مهرّج . إنه لا يمثّل البهلول وحده .

بـــهـلـــول : لا، فالنبلاء وعظام الرجال يحولون دون ذلك. ولو أُذِن لى بأن أحتكره وحدى لطالبوا لأنفسهم بنصيب فيه . بل السيدات أنفسهن ما كنّ يسمحن لى بأن أكون وحدى

البهلول الأحمق ، وإنما كنّ يتخاطفنه . أعطنى بيضة يا عمى أعطك تاجين .

ليـــــر : وأى تاجين يكونان ؟

بهلـول : بعد أن أكسر البيضة فأقسمها قسمين وآكل ما تحتويه يبقى لك قشرها تاجين . إنك حين كسرت تاجك وقسمته نصفين ، ثم أعطيت كليهما للغير إنما حملت حمارك على ظهرك لكى تقيه الوحل . ما كان فى تاج رأسك الأصلع ذرة من الذكاء حين تخليت عن تاجك الذهبى . وليكن الجلد جزاء أول من يجد فى كلامى هذا مجرد كلام بهلول أحمق . (يغنى)

قد أصبح البهلول لا شأن له الآنا
فالعقلاء قد غدوا حمقى ومجّانا
لا يعرفون كيف يرتدون عقلهم آنا
وهم يقلّدون كالقرود فى سلوكهم آنا

ليـــــر : منذ متى أصبحت تزخر بالأغانى هكذا يا غلام ؟

بهلـول : منذ أن جعلتَ كلتا ابنتيك بمثابة أمٍّ لك . وهبتهما العصى وأنزلت عنك سراويلك لتأديبك .

مضتا تبكيان من الفرحة
وغنّيتُ من حزنى المفرط
لأن مليكا كشخصك يلهو مع الصبية
ويندسّ فى زمرة
البهاليل والهُبل

أرجوك يا عمي أن تخصص لي مدرسا ليعلّم بهلولك الكذب . بودي أن أتعلم الكذب .

ليـــــــر : إن كذبتَ يا هذا أمرنا بجَلدك .

بـهـلـول : لقد احترت في وجه القربى بينك وبين ابنتيك . هما تأمران بجلدي لأني أقول الصدق وأنت تريد أن تأمر بجلدي لقولي الكذب . وأحيانًا يُؤمر بجلدي لعدم قولي أي شيء على الإطلاق. ليتني كنت شيئًا آخر غير بهلول. ومع ذلك فلا أريد أن أكون مثلك يا عمي . لقد شطرت عقلك شطرين ولم يبق لك شيء في الوسط . ها هو ذا أحد الشطرين .

(تدخل جونريل)

ليـــــــر : ماذا في الأمر يا بنيتي ؟ لِمَ تقطبين جبينك هكذا ؟ لقد أصبح وجهك مكفهراً كثير العبوس هذه الأيام .

بـهـلـول : كنتَ أريبا حقًّا حين لم يكن يهمك عبوس وجهها . أما الآن فأنت مجرد صفر على الشمال . حتى أنا أفضل منك الآن لأني بهلول . أما أنت فلستَ شيئًا . (إلى جونريل) طيب . سأسكت . هكذا يأمرني وجهك أن أفعل وإن كنت لم تقولي شيئًا .

اخـرَسْ اخـرس يا حسره
من لا يحتفظ لنفسه بالكِسْره
ولا يهتم بشيء المَنْره

(مشيراً إلى لير) هذا مجرد قشرة بازلاء فارغة .

جونريل : سيدى . ليس فقط هذا البهلول المباح له كل شيء بل وغيره من رجال حاشيتك عديمي الأدب يتناوبون ويتشاجرون كل ساعة ، وينفجرون في عراك وخناق وصخب لا يطاق . لقد كنت أظن أنك لا ريب ستصلح الأمر إن أطلعتك على حقيقته . ولكن الآن بعدما رأيت من كلامك وفعالك أخيرًا وبعد فوات الأوان أخشى أنك تشجعهم على سلوكهم هذا المسلك ، وأنهم يصنعون ما يصنعون بموافقتك وتحريضك . فإذا كان الأمر كذلك لن يسلم هذا السلوك المعيب من التأنيب ولابد من إصلاح الحال باتخاذ إجراءات يدفعني إليها حرصي على الصالح العام – إجراءات قد يؤدي تنفيذها إلى جرح مشاعرك ، ولكن لا تعتبرها سلوكا معيبًا من ناحيتي من يدركها على حقيقتها – أي على أنها سياسة حكيمة فرضتها الضرورة عليّ .

بهلول : تعرف يا عمي :

آخذ العصفور حينًا
يُطعم الوقواقَ حتى
قضم الوقواقُ رأسَه
وهو مازال صغيرًا[٩]

وهكذا انطفأت الشمعة ، وبقينا في الظلام الدامس .

لير : أأنت بنتنا ؟

جـــونـريل : ليتك تستخدم ما عهدته فيك من الحكمة – وهى كثيرة – فتتخلى عن هذه النزوات التى أخذت تخرج بك فى الأيام الأخيرة عن طبيعتك السويّة .

بــهـلـول : ألا يدرك الحمار حين تنعكس الأوضاع فتجر العربةُ الحصان ؟(١٠) أهواك يا حبيبى أهواك !

لـيـــر : أيوجد هنا من يعرفنى؟ أنا لست لير . أهكذا يمشى لير؟ أهكذا يتكلم ؟ أين عيناه ؟ لابد أن عقله أخذ يضعف أو أن الخمول قد دبّ فى إدراكه . هل أنا صاحٍ ؟ ! لا يمكن. من الذى يستطيع أن يخبرنى من أنا ؟

بــهـلـول : بهلول خيال لير .

لـيـــر : بودّى أن أتأكد من ذلك . إن مظاهر السيادة ودلائل المعرفة والعقل لتجعلنى أعتقد خطأ أننى لى بنات .

بــهـلـول : بنات يشأن أن يجعلن منك أبا مطيعا .

لـيـــر : ما اسمك أيتها السيدة الحسناء ؟

جـــونـريل : هذه الدهشة المصطنعة يا سيدى هى من قبيل ألاعيبك الجديدة الأخرى . أرجوك أن تحسن فهم قصدى . مثلما أنت شيخ وقور ينبغى لك أن تكون عاقلاً . إنك تحتفظ هنا بمائة فارس وتابع . رجال متهتكين معربدين وقحين. أصابت عدواهم بلاطنا حتى غدا أشبه بحان صاخب وجعله فجورهم وانهماكهم فى الملذات أشبه بخمارة أو دار دعارة منه بقصر شريف . إن الحياء عينه يدعو إلى إصلاح الأمر فى الحال . لذا أرجوك – وإن لم تمتثل

لرجائي أخذتُ ما أنا أرجوه قسراً وعنوة – أن تقلل من عدد حاشيتك ، وأن تجعل البقية الذين يقومون بخدمتك رجالا يلائمون سنَّك ويعرفون قدرك وقدر أنفسهم .

ليــــــــر : ليحل الظلام والشياطين ! أسرجوا جيادى وادعوا حاشيتى . يا بنت الحرام يا فاسدة . سأعفيك من مضايقتي . لا تزال لدىّ بنت أخرى .

جــــونريل : إنك تضرب رجالي وحثالتك الصاخبة يأمرون أسيادهم كأنهم خدم .

(يدخل أولباني)

ليــــــــر : ويل لمن يندم بعد فوات الأوان . أراك قد جئت يا سيدى. هل هذه مشيئتك ؟ تكلم يا سيدى . جهزوا خيلى . أيها العقوق يا شيطانا قلبه قدّ من رخام . إنك لتبدو أبشع من وحش البحر حين تظهر فى أولادنا .

أولبــــــانى : أرجوك يا سيدى أن تتجمل بالصبر .

ليــــــــر : **(إلى جونريل)** أيتها الحدأة الكريهة إنك لتكذبين . إن حاشيتى تتألف من صفوة الرجال وأشرفهم، يعرفون كل دقائق السلوك الحميد ، وهم حريصون على أن يظلوا جديرين بشرفهم وسمعتهم الطيبة في كل صغيرة وكبيرة. أيها العيب الطفيف فى شخص كورديليا ، لكم ظهرت لى قبيحًا . كنت لى كآلة التعذيب ، فانتزعت هيكل طبيعتى من مستقره لتطرد من قلبى كل الحب ولتضيف مرارة إلى مرارتى . آه يا لير . يا لير . يا لير اقرع هذا

الباب الذى سمح للحمق بالدخول (**يضرب رأسه**) ولعزيز رشدك بالخروج . هيًا هيًا . يا رجالى .

أوليـــــانى : مولاى إني برىء فى هذا الموضوع . ولا أدرى ما سبَّب لك هذا الانزعاج .

لـيـــــــر : ربما يا سيدى . أيتها الطبيعة استمعى. استمعى لى . أيتها الإلهة العزيزة استمعى لى : إن كنتِ تنوينّ أن تجعلى لهذه المخلوقة ذرية أبطلى نيتك هذه . انقلى العقم إلى رحمها ! أصيبى أعضاء التكاثر فيها بالجفاف فلا ينبت من جسدها الدنىء طفل يعزّها . وإذا كان لابد لها أن تنجب فاخلقى ولدها من الحقد وحده حتى يعيش فيكون عذابًا لها ، شاذًا خاليًا من كل عطف فطرى ، ليَسِم جبينها الشاب بالغضون والتجاعيد ويحفر فى خديها الأخاديد بدمعها السيال ، ليضحك ويسخر مما تعانيه من متاعب الأمومة وحنانها ، فعسى أن تحس حينئذ بأن الألم الذى يسببه ولد عاق أحد من ناب الأفعى . هيا بنا (**يخرج**)

أوليـــــانى : بحق الآلهة التى نعبدها ، ما سبب هذا ؟

جــــونـريل : لا تكدر نفسك؛ بمعرفة المزيد عن هذا الموضوع . دعه يُفْصِح عن مزاجه كما يتيح له خرف الشيخوخة .

(**يعود لير**)

لـيـــــــر : ماذا ؟ خمسون من أتباعى بضربة واحدة فى خلال أسبوعين ؟

أولبـــــانى : ما الأمر يا سيدى ؟

لـيـــــــر : سأخبرك . **(إلى جونريل)** أقسم بالحياة والموت ! إنى خجلان لأنك أفلحت فى زعزعة رجولتى هكذا ، ولأن هذه الدموع الحارة التى تنهمر من عينى رغمًا عنى تجعلك جديرة بها . لتنزل العواصف والضباب عليك ! ولتحلّ بك لعنة أب بجراحها الغائرة التى لا يمكن تضميدها فتخترق كل حاسة من حواسك . وأنتما يا عينىّ الجمقاوين الطاعنتين فى السنّ ، إن ذرفتما الدموع لهذا السبب مرة أخرى اقتلعتكما بيدى وألقيت بكما وبما تسحّان من الماء فى طين الأرض . هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟ آه فليكن إذن. إن لى ابنة أخرى وهى بلا شك كريمة ومؤاسية . وبمجرد أن تسمع بما فعلت ستسلخ بأظافرها جلد وجهك الذى هو وجه الذئب . وستجدين أننى سأستعيد ذلك المظهر الذى تظنين أننى خلعته عنى إلى الأبد .

(يخرج لير وكِنت وأتباع)

جــــونـريل : أرأيت بعينيك ؟

أولبـــــانى : لا أستطيع يا جونريل بسبب حبى العميق لك أن أتحيز...

جــــونـريل : كفى أرجوك . أوزولد ؟ أين أنت ؟

(إلى بهلول) أنت يا حضرة . يا من هو وغد أكثر منه بهلولاً . اذهب . اتبع سيدك .

بهلول : عمى لير ! عمى لير ! انتظر لتأخذ البهلول معك .

حين يصيد المرء ثعلبه
عليه أن يأخذها للمجزره
تصحبها ذى الابنة لذبحها
يا ليتنى يمكننى أن أشترى
حبلاً بطرطورى ذا لشنقها
وهاهو البهلول يأتى خلفكم

(يخرج)

جونريل : إن من نصح هذا الرجل قد أحسن نصحه. مائة فارس ! طبعًا من السياسة والحيطة أن يكون له مائة فارس مسلح على أهبة الاستعداد ليدافعوا عن هرمه وخرفه لمجرد حلم يحلمه أو إشاعة أو وهم أو شكوى أو غضب ، فيعرضوا حياتنا للخطر . أوزولد . يا أوزولد . أين أنت يا أوزولد ؟

أولبانى : ربما تبالغين فى الخوف .

جونريل : هذا آمن من أن أبالغ فى الثقة . خير لى دائمًا أن أزيل الأضرار التي أخافها من أن أعيش فى خوف دائم من أن يلحقنى الضرر . إنى أعرف دخيلة نفسه . لقد كتبت إلى أختى بكل ما تفوه به ، فإن هى قبلت أن تحتمله مع فرسانه المائة بعد أن أوضحت لها المضار ...

(يعود أوزولد)

أى أوزولد . هل سطرتَ تلك الرسالة إلى أختى ؟

أوزولـــــــد : نعم يا مولاتى .

جـــونـريل : خـذ مـعك بـعض الرجـال وأسـرعـوا بالخـيل . أخـبـرها بالتفصيل عن مخاوفى الشخصية وأضف إلى ذلك من عندك من الأسباب مما يعضّدنى . هيا اذهب وعُد بسرعة .

(يذهب أوزولد)

لا . لا . يا مـولاى . اسـمح لى . إن رقـتك ولِينك فى سلوكك هذا – وإن كنت لا أدينك عليه – سيجعل الناس يتـهمـونك بعدم الحكمة أكثر مما يجعلهم يمتدحونك لتساهلك هذا الخَطِر .

أولبـــــانى : لا أعلم إلى أى مـدى تستطيع أن تنفـذ عـيناك . ولكن الإنسان بمحاولته الإصلاح أحيانًا يفسد ما هو صالح فعلاً .

جـــونـريل : لا . أبدًا ..

أولبـــــانى : على أى حال لنر ما تنكشف عنه الأحداث .

(يخرجان)

المنظر الخامس

(فناء أمام نفس القصر)

(يدخل لير وكِنت وبهلول)

لـيـــــــــر : اسبقنا أنت بهذه الرسائل إلى مدينة جلوستر حيث يوجد قصر دوق كورنوول . لا تخبر ابنتي ريجان بكل ما تعلم وإنما اكتف بالإجابة عما يعنّ لها من أسئلة بعد قراءتها هذه الرسائل . إن لم تسرع وتجدّ وجدتني هناك قبلك .

كِـــنـــت : لن تغمض لى عين يا مولاى حتى أسلّم رسائلك . (يخرج)

بـهـلـول : لو كان مخ الإنسان في كعبه ألم يكن مهدداً بالتورّم والتشقق بسبب الاستعمال ؟

لـيـــــــــر : صحيح يا غلام .

بـهـلـول : فلتفرح إذن . لأنك فى هذه الحال لن يحتاج مخك أبداً إلى لبس الخفّ بسبب التورم .

ليـــــــر : ها ! ها ! ها .

بـــهـــلـــول : ستـرى أن ابنتك الأخـرى سـتـحسن مـعـاملتك حسب طبعهـا . فـهي وإن كانت تشبـه هذه كما تشبـه التفاحة الحلوة التفاحة البرية إلا أنى أرى ما أرى .

ليـــــــر : وماذا ترى يا غلام ؟

بـــهـــلـــول : سيكون مـذاقـها كمذاق هذه تمامًا مثلمـا يتشـابه طعم التفاحتين البريتين . أتستطيع أن تقـول لى لِمَ كان أنف المرء وسط وجهه ؟

ليـــــــر : لا .

بـــهـــلـــول : أنا أقول لك: لكى تكون له عين على كل جـانب من الأنف فما يعجز عن شمه يستطيع أن يراه .

ليـــــــر : لقد ظلمتها .

بـــهـــلـــول : أتعرف كيف يصنع المحار صدفه ؟

ليـــــــر : لا .

بـــهـــلـــول : ولا أنا . ولكنى أعرف لماذا كان للحلزون قوقعة .

ليـــــــر : لماذا ؟

بـــهـــلـــول : ليضـــع رأســـه فيـهـــا ، لا ليعطيهـــا لبناته ويبقى قرناه بلا غطاء .

ليـــــــر : سـأنسى طبيعتى وحنـان الأبوة ، أنا الأب العطوف . هل خيلى جاهزة ؟

بـــهـــلـــول : لقد ذهب حميرك لتجهيزها . إن السبب فى أنه لا يوجد غير سبعة كواكب سبب وجيه .

لـيـــــــــر : إلا أنها ليست ثمانية ؟

بــهـــلـــول : بالضبط . فى استطاعتك أن تكون بهلولاً رائعًا .

لـيـــــــــر : تأخذه قسراً وعنوة ! أى عقوق وحشى هذا !

بــهـــلـــول : لو كنتَ بهلولي يا عمى لأمرت بضربك لأنك شِختَ قبل الأوان .

لـيـــــــــر : وكيف كان ذلك ؟

بــهـــلـــول : كان ينبغي لك أن تعقل قبل أن تشيخ .

لـيـــــــــر : أتوسـل إليك أيتـها السمـاء الرحيمــة ، أتوسـل إليك أن لا تدفـعـينى إلى الجنون . لا . لا تدفـعـينى إلى الجنون . اجعلينى أحتفظ بعقلى . لا أريد أن يصيبنى الجنون .

(يدخل أحد الحاشية)

هيه . هل الخيل جاهزة ؟

أحد الحاشية : جاهزة يا مولاى .

لـيـــــــــر : تعال يا غلام .

بــهـــلـــول : العـذراء التى لا ترى فى كـلامى إلا مـا يضـحك لن تظل طويلاً عذراء .

إلا إذا قُصرت أشياء (١١)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(فناء داخل قلعة الإيرل جلوستر)

(يدخل إدموند وكوران)

إدمـــــوند : السلام عليك يا كوران .

كـــــوران : وعليك السلام يا سيدى . كنت مع أبيك لأخبره بأن دوق كورنوول وعقيلته الدوقة ريجان سينزلان ضيفين عليه هذه الليلة .

إدمـــــوند : وما سبب ذلك ؟

كـــــوران : لا أعرف . أظنك سمعت ما يتناقله الناس من الأخبار . أقصد ما يتهامسون بها فإنها لا تزال حتى الآن مجرد إشاعات تداعب الآذان .

إدمـــــوند : لا لم أسمع شيئًا . أرجوك أن تخبرنى .

كـــــوران : ألم تسمع باحتمال قرب نشوب الحرب بين دوق كورنوول ودوق أولبانى ؟

إدمـــــوند : لا . إطلاقًا .

كـــــوران : ربما تسمع بذلك قريبًا . وداعًا يا سيدى (يخرج)

إدمـــــوند : الدوق هنا الليلة ! عظيم ! عظيم جدًا . سأجد فى ذلك ما يفيدنى فى خطتى . إن أبى قد عيّن حرسًا لاعتقال أخى ، وأمامى عملية دقيقة لابد أن أنفذها بمهارة ، وعسى أن يكون حليفى الحظ والسرعة . أخى! مجرد كلمة . أخى . انزل يا أخى (يدخل إدجار)

أبى يتربص بك . اهرب من هذا المكان يا أخى . لقد اكتشف أين تختبئ . اهرب الآن مستغلا فرصة ظلام الليل . ألم يسبق لك أن انتقدت دوق كورنوول ؟ إنه قادم الآن هنا فى الليل بأقصى سرعة ومعه ريجان . ألم تقل شيئًا ضده فى النزاع القائم بينه وبين دوق أولبانى . فكّر جيدًا .

إدجـــــار : يقينًا لا . ولو كلمة واحدة .

إدمـــــوند : إنى أسمع أبى قادمًا . اسمح لى إن الحكمة تقتضى أن أتظاهر بأننى أشهر سيفى عليك . أشهر سيفك أنت أيضًا وتظاهر بالدفاع عن نفسك . الآن حاول أن تبدو جادًا فى دفاعك . (بصوت عال) سلّم وامثل بين يدى والدى . هاتوا النور يا ناس . اهرب يا أخى . المشاعل ! هاتوا المشاعل ! مع السلامة . (يخرج إدجار)

قليل من الدم علىّ يجعل الناس يعتقدون أننى كنت أقاتل ببسالة (يجرح ذراعه) لقد رأيت الرجال فى لهوهم

يجرحون أنفسهم أكثر من ذلك وهم سكارى .[١٢] أبى .
أبى ! قف ! قف ! النجدة ! ألا من مغيث ؟

(يدخل جلوستر وخدم يحملون مشاعل)

جلوستر : إيه . يا إدموند . أين الوغد ؟

إدموند : لقد كان واقفًا هنا فى الظلام شاهرًا سيفه ويتمتم بتعويذات شريرة ويدعو القمر أن يحسن طالعه ويكون حليفه فى نجاح خطته .

جلوستر : ولكن أين هو ؟

إدموند : انظر يا سيدى . إن دمى يسيل .

جلوستر : أين الوغد يا إدموند ؟

إدموند : هرب من هنا يا سيدى حين عجز عن ...

جلوستر : وراءه اذهبوا أنتم ، طاردوه **(يخرج بعض الخدم)** . عجز عن ماذا ؟

إدموند : عن تحريضى على قتل سيادتك . قلت له إن الآلهة تنتقم من قاتل أبيه بأن تصوّب عليه رعدها لتقصفه . تحدثت عن تلك الأواصر العديدة المتينة التى تربط الولد بأبيه . وأخيرًا يا سيدى عندما أدرك مقدار مناوءتى واشمئزازى من هدفه الشاذ هجم مباشرة علىّ ، وأنا غير مستعد للدفاع عن نفسى ، وبطعنة من سيفه المسلول جرح ذراعى . ولكنه سرعان ما رأى مقدار شجاعتى التى استثارها الخطر واستبسالى فى القتال لعدالة قضيتى ،

أو ربما خشى على نفسه من الجلبة التى أحدثتها فولّى هاربًا فجأة .

جلوستر : فليهرب إلى أقصى الأرض . فلن يظل فى هذا البلد دون أن يقبض عليه ومتى ما وجد كان مصيره القتل . إن سيدى الدوق النبيل ، مولاى الشريف وسندى الأول ، قادم الليلة . ولسوف أعلن بتفويض منه إن من يجده يكون جديرًا بثنائنا ومكافآتنا إن هو أتى بالمجرم الجبان إلى خشبة الإعدام ، بينما من يتستّر عليه يكون جزاؤه الموت .

إدموند : عندما حاولت أن أثنيه عن عزمه ووجدته مصممًا على فعلته هددته بأغلظ الألفاظ بأن أكشف أمره ، ولكنه أجاب قائلاً : يا ابن الزنا المعدم ! أتظن أنه إذا أنا شهدت ضدك سيصدق كلامك أى شخص مهما وثق بك واعتبرك فاضلاً جديرًا ؟ لا ما يلزمنى أن أنكره – وهذا منه – سأنكره . وحتى إن أمكنك أن تقدم لهم اعترافًا بخط يدى فسأنسب كل شىء إليك : إلى تحريضك وتآمرك وخيانتك . لا شك أنك تعتقد أن الناس مغفلون إن أنت حسبت أنهم لن يدركوا أن الفوائد الجمة التى تجنيها من موتى هى أكبر حافز وأقوى دافع لك لكى تنشده .

جلوستر : إنه لوغد صلب شاذ ! أقال إنه سينكر رسالته ؟ لا إنه ليس بولدى من صلب ظهرى . **(تسمع أبواق بالداخل)** صه . هذه أبواق الدوق لا أدرى لماذا جاء لزيارتى . سأسدّ على الوغد منافذ الهرب فلن يستطيع أن ينجو بجلده . لابد أن يسمح لى الدوق بذلك . وعلاوة على ذلك سأرسل صورته إلى شتى أنحاء المملكة حتى يستطيع الناس أن يتعرفوا عليه . أما أنت يا ولدى البار المخلص فسآخذ الخطوات اللازمة لأن أجعلك الوريث الشرعى لأملاكى .

(يدخل كورنوول وريجان وأتباع)

كورنوول : كيف أنت الآن يا صديقى النبيل ؟ لقد سمعت أخباراً عجيبة عند وصولى منذ لحظات .

ريجان : إن كانت الأخبار صحيحة فكل قصاص يمكن إيقاعه بالمذنب أقل مما يستحق . كيف حالك يا سيدى النبيل ؟

جلوستر : سيدتى . إن قلبى العجوز قد انفطر ، انفطر !

ريجان : أصحيح أن فلّيونَ أبى حاول أن يغتالك ؟ ابنك إدجار الذى سمّاه أبى عند تعميده ؟

جلوستر : آه يا سيدتى . إن الخجل يدعونى إلى إخفاء الحقيقة .

ريجان : ألم يكن يصاحب أولئك الفرسان المشاغبين الذين يخدمون أبى ؟

جلوستر : لا أدرى يا سيدتى . فظيع ! فظيع !

إدموند : نعم يا سيدتى . إنه كان من تلك الزمرة .

ريجـــــان : لا عجب إذن إن كان يعوزه الولاء. إنهم هم الذين أوعزوا إليه بأن يقتل أباه العجوز لكى يتسنى لهم أن يتصرفوا ويبذّروا فى دخله . لقد سمعت هذا المساء فقط تفاصيل أمرهم من أختى وقد حذرتنى منهم ونصحتنى أن أتغيب إذا جاءوا للإقامة فى قصرى .

كـــورنوول : وأنا أيضاً أتغيب أؤكد لك يا ريجان . إدموند لقد سمعت أنك أسديت إلى أبيك خدمة جديرة بابن بار .

إدمـــــوند : لم أفعل أكثر من الواجب يا سيدى .

جلوســـتـر : إنه فضح مكيدته . وأصيب بالجرح الذى تراه وهو يحاول القبض عليه .

كـــورنوول : أهو مطارد الآن ؟

جلوســـتـر : نعم يا سيدى الكريم .

كـــورنوول : إن قبض عليه لن يخشى أحد أن يصيبه منه أذى أبداً . تصرّف كما يحلو لك معتمداً على سلطتى . أما أنت يا إدموند إن ما فيك من فضيلة الطاعة ليرفع من قدرك فى نظرنا هذه اللحظة بحيث قررنا أن نلحقك بخدمتنا . إننا ستكون لنا حاجة ماسة إلى أفراد تتميز طبائعهم بمثل هذا الولاء العميق . وأنت أول من نختار من هؤلاء .

إدمـــــوند : سأخدمك يا سيدى بصدق مهما تكن الظروف .

جلوســـتـر : أشكرك يا مولاى نيابة عنه .

كـــورنوول : أنت لا تعرف لِمَ جئنا لزيارتك .

ريجـــــان : هكذا فجأة على غير موعد مخترقين حجب الظلام . السبب يا جلوستر النبيل أمور طارئة على قدر كبير من الأهمية احتجنا إلى استشارتك فيها . لقد كتب لنا والدنا كما كتبت لنا أختنا عن خلافات وقعت بينهما ورأيت أن الأنسب أن نردّ على هذه الرســـائل ونحن متغيبون عن قصرنا . الرسل الآن من الطرفين ينتظرون الأمر بالعودة بردّنا . يا صديقنا المخلص القديم ، تأسَّ عما حدث وأسد لنا نصيحتك الغالية إذ نحن في مسيس الحاجة إليها في مسألتنا هذه التي تتطلب حلاً عاجلاً .

جلوســتـر : أنا في خدمتك يا مولاتي . أهلاً وسهلاً بسموكما .

(صوت أبواق – يخرجون)

المشهد الثانى

(أمام قلعة جلوستر)

(يدخل كنِت وأوزولد كل من باب)

أوزولـــــــد : فجر الخير أيها الصديق . هل أنت من خدم هذه الدار ؟

كِـــنـــت : نعم .

أوزولـــــــد : أين نترك خيولنا ؟

كِـــنـــت : فى الوحل .

أوزولـــــــد : أرجوك أن تخبرنى بحق محبتك .

كِـــنـــت : أنا لا أحبك .

أوزولـــــــد : إذن لا أعيرك أى اهتمام .

كِـــنـــت : لو كنتَ فى قبضتى لجعلتك تعيرنى اهتمامك .

أوزولـــــــد : لِمَ تسئ معاملتى هكذا ؟ أنا لا أعرفك .

كِـــنـــت : ولكنى أنا أعرفك أيها الغلام .

أوزولـــــــد : أتعرف من أنا ؟

كِـــنـــت : نعم ، أنت عبد حقير آكل فضلات . عبد دنيء صلف ضحل شحاذ خدّام ليس له أكثر من ثلاث حلل في العام ولا تزيد ثروته على مائة جنيه . لا يرتدي غير جوارب الصوف القذرة[١٣] وغد جبان يهرع إلى المحاكم بدلاً من أن يقاتل دفاعًا عن شرفه ، ابن عاهرة ، مغرور يطيل النظر في المرآة، لا يتورع عن ارتكاب الموبقات في خدمة سيده . متحذلق ، لا يملك سوى محتويات حقيبة واحدة . شخص يرحب بأن يكون قوّادًا لسيده ولستَ أكثر من شيء مركّب من عبد وشحاذ وجبان وقوّاد وابن كلبة هجين ووريثها الشرعي. وسأضربك حتى تضج بالعواء إن أنكرتَ حرفًا واحدًا من تلك الألقاب التي خلعتها عليك.

أوزوالـــــد : أي شخص بشع أنت حتى تكيل الشتائم والإهانات هكذا لرجل لا تعرفه ولا يعرفك .

كِـــنـــت : أي غلام عديم الحياء أنت حتى تنكر أنك تعرفني . ألم أوقعك على الأرض وأضربك أمام الملك منذ يومين ؟ أشهر سيفك وقاتل أيها الوغد . فإنه وإن كان الوقت ليلاً إلا أن القمر ينشر ضوءه . لأجعلن جثتك تطفو أشلاء في ضوء القمر . **(شاهرًا سيفه)** أشهر سيفك يا ابن العاهرة يا دنيء يا جليس الحلاّقين .

أوزوالـــــد : ابعد عني . لا شيء يربطني بك .

كِـــنـــت : اسحب سيفك يا وغد . أنت تأتي هنا برسائل ضد الملك وتعضّد عروسة «الغرور»[١٤] ضد أبيها جلالة الملك .

سيفك يا صعلوك وإلا قطعت ساقيك . أشهر سيفك يا وغد . هيا .

أوزوالد : النجدة يا ناس . جريمة قتل ! النجدة !

كِنت : قاتل يا عبد . قف ولا تهرب يا وغد . اضرب أيها العبد المتأنق .

أوزوالد : النجدة يا ناس . سيقتلنى . سيقتلنى !

(يدخل إدموند وسيفه مسلول)

إدموند : إيه ؟ عمَّ تتشاجران ؟ افترقا .

كِنت : عنك أيها الغلام ! من فضلك . تعالَ هنا ودعنى أعلمك القتال . تعالَ أيها الصبى .

(يدخل كورنوول وريجان وجلوستر وخدم)

جلوستر : أسلحة وسيوف ماذا يجرى هنا ؟

كورنوول : كُفّا عن القتال فوراً وإلا كان جزاؤكما الموت . من يعد إلى الضرب يمت . ماذا حدث ؟

ريجان : إنهما رسولا أختنا والملك .

كورنوول : وما سر النزاع بينكما ؟ تكلما .

أوزوالد : إنى ألهث يا مولاى .

كِنت : لا عجب ، من فرط استبسالك ! أيها الوغد الجبان إن الطبيعة ذاتها تتبرأ منك ما صنعك إلا خياط .

كورنوول : إنك لرجل غريب ! كيف يصنع الخياط إنساناً ؟

كِنت : خياط يا سيدى هو الذى صنعه . فلا يمكن لنحّات أو مصوّر حتى وإن لم يمض عليه سوى عامين فى مهنته ، أن يسىء صنعه إلى هذا الحد .

كــــورنوول : تكلم . كيف نشأ الخلاف بينكما ؟

أوزوالـــــــد : مولاى . هذا الصعلوك العجوز الذى لم أشأ أن أقتله رحمة بلحيته البيضاء ...

كِــنــــت : يا ابن العاهرة ! يا صفر ! يا مجرد حرف لا لزوم له . إن سمحت لى يا مولاى وطأت بقدمى هذا الوغد المخنّث بقدمى حتى ينسحق إلى جير لطخت به جدران المراحيض . رحمة بلحيتى البيضاء يا رعديد !

كــــورنوول : اسكت يا هذا .. ألا تعرف ما هو الاحترام أيها الرجل المتوحش ؟

كــنــــت : نعم يا سيدى . لكن الغضب له أحكامه .

كَــــورنوول : لأن عبداً رقيقًا كهذا ليس فى شخصه ذرة من الصدق ومع ذلك يحمل سيفًا . أمثاله من الأوغاد الذين لا تغادر الابتسامة شفاههم هم كالجرذان غالبًا ما يقرضون أقوى الروابط المقدسة التى يتعذر فكّها ولا يلبثون أن يفصموها . يُطرون أسيادهم فى شتى ما يثار فى نفوسهم من عواطف وانفعالات . فهم لهم مثل الزيت للنار حينا ، أما حين تبرد مشاعر أسيادهم يصبحون مثل الثلج . ينكرون ويثبتون ويوجهون مناقيرهم فى كل صوب حسبما تتجه رياح أسيادهم . ومثل الكلاب لا يعرفون غير اتباعهم. **(إلى أوزوالد)** أصاب الوباء وجهك المصروع! ابتسم لكلامى كما لو كنتُ بهلولا ؟ لو أمسكت بك لسقتُك مثل الأوزة وأنت تصيح من الرعب إلى بيتك فى كاميلوت حيث تكثر الأوز .

كـــورنـوول : أجننت أيها الشيخ ؟ !

جلوســتــر : كيف نشب النزاع بينكما ؟ تكلم ؟.

كِـــنــــت : لا يوجد نقيضان يكره أحدهما الآخر مثلى ومثل ذلك الوغد .

كـــورنـوول : ولماذا تدعوه وغداً ؟ ما ذنبه ؟

كِـــنــــت : شكله لا يعجبنى .

كـــورنـوول : ربما ليس أكثر من شكلى أنا أو شكله أو شكلها .

كِـــنــــت : سيدى . إن واجبى أن أكون صريحًا . ولقد رأيت فى ماضى حياتى وجوهًا أفضل من أى وجه أراه ينهض فوق كتفين أمامى فى هذه اللحظة .

كـــورنـوول : هذا رجل امتدح يومًا لصراحته فأخذ يصطنع هذا الأسلوب الجلف الوقح . ويتكلف طريقة فى الكلام تنافى طبيعته : إنه لا يقدر على أن يتملق لأنه صادق وصريح يفصح عما يدور فى ذهنه ولابد له أن يقول الحق فيقبل الناس قوله وإلا فهم يغتفرون له صراحته . إننى أعرف أمثال هذا الوغد فهم وراء هذه الصراحة يخفون من المكر وسوء النية أكثر مما لدى عشرين متملقًا متذللاً يبالغ فى المجاملة ومراعاة واجبات اللياقة .

كِـــنــــت : مولاى . إن أذن لى شخصكم الجليل الذى تضاهى طلعته السنّية إكليل النار التى يشّع نورها على جبهة فيبوس إله الشمس ، أقول لكم بحق الإيمان قولاً كله الصدق والإخلاص ...

كـــورنوول : وماذا تقصد بهذا الكلام ؟

كِـــنـــت : أن أخرج من لهجتى التى بالغت فى انتقادها . إننى أعلم يا سيدى أننى لست بالرجل المتملق . أما الذى خدعك بلهجته المجردة فكان مجرد وغد . وهذا لن أكونه حتى وإن كان اتخاذ الزلفى هو السبيل إلى كسب رضاك .

كـــورنوول : فيم أهنته ؟

أوزوالـــد : لم أهنه فى شىء . لقد شاء الملك - مولاه - حديثًا أن يصفعنى بناء على سوء تأويل من عنده ، فإذا به يعضد الملك ويتملق غضبه علىّ فيعرقلنى من الخلف ويوقعنى على الأرض . وأخذ يكيل لى الإهانات والشتائم شامتًا فىّ وأنا ملقى على الأرض ويظهر بمظهر البطل الجسور مما جعله ينال ثناء الملك على ضربه شخصًا لم يشأ أن يدافع عن نفسه . وفى نشوة انتصاره ذلك تهجّم علىّ هنا مرة ثانية .

كِـــنـــت : إن البطل آجاكس(١٦) نفسه مجرد أبله فى نظر جميع أمثال هذا الوغد الجبان .

كـــورنوول . هاتوا الدهق .(١٧) سنلقنك درسًا أيها الوغد العجوز العنيد ، أيها الكهل المتبجّح .

كِـــنـــت : لقد فُتّ سن التعلم يا سيدى . لا تحضروا دهقكم لعقابى . أنا رجل أخدم الملك وهو أرسلنى إليكم لكى أؤدى خدمة له . إنكم حين تضعوننى فى الدهق وأنا

رسول الملك إنما تتهورون كل التهور وتلحقون إهانة شنيعة بشخص مولاى وبجلالته .

كـــورنوول : جيئوا بالدهق . قسماً بحياتى وشرفى ليحبس فى الدهق حتى الظهر .

ريجـــان : حتى الظهر ؟ لا حتى الليل يا مولاى ، بل الليل بطوله أيضاً .

كِــنــت : يا سيدتى لو كنتُ كلب أبيك لما عاملتنى هذه المعاملة .

ريجـــان : لأنك من خدمه الأوغاد أعاملك هكذا .

كـــورنوول : هذا شخص من نفس لون أولئك اللذين تحدثت أختنا عنهم . هيا . أحضروا الدهق (**يحضر الدهق**)

جلوستر : أتوسل إلى سموكما ألا تصنعا ذلك . حقًا إن جريرته كبيرة ومولاه الملك الفاضل سيحاسبه عليها . لكن العقاب الدنىء المهين الذى تنويان أن تنزلاه به لا يعاقب به إلا أسفل السافلين على جرائم منحطة كالاختلاس والسرقة . ولا شك أن الملك سيغضب لهذا الحطّ من كرامته فى شخص رسوله حين يعلم بحبسه هكذا .

كـــورنوول : أنا المسئول عن ذلك .

ريجـــان : إن غضب أختنا قد يكون أشد حين تعلم أن كبير خدمها شُتم وضُرب أثناء مباشرته شئونها . ضع ساقيه فى الدهق . (**يوضع كِنت فى الدهق**)

كـــورنوول : هيا يا سيدى . هيا . (**يخرج الجميع ما عدا جلوستر وكِنت**)

جلوستر : أنا آسف لك يا صاحبى . ولكنها مشيئة الدوق . والعالم كله يعرف أنه رجل ذو طبع صعب لا يرضى بأن يعترض سبيله أى شىء . سأشفع لك .

كنت : أرجوك لا تفعل ذلك يا سيدى . لقد أمضّنى السهر ووعثاء السفر . سأنام بعض الوقت والبعض الآخر سأزجيه فى الصفير . إن الرجل الطيب لا يسلم من سوء الحظ . تصبح على خير .

جلوستر : الدوق هو الملوم على هذا التصرف وسيكون وقعه أليماً . (يخرج)

كنت : أيها الملك الطيب . إن ما يحدث لك يؤيد بلا شك صدق المثل القائل «من لطف السماء إلى قيظ الشمس». اقتربى أيها المشكاة من أرضنا الدنيا حتى أستطيع قراءة هذه الرسالة فى ضوء أشعتك المُعينة . الشقاء وحده هو الذى يرى المعجزات . أعرف أن الرسالة من كورديليا فهى لحسن الحظ قد بلغها ما أنا أقوم به متنكراً هكذا . وفى حالة الفوضى هذه إنما تسعى لأن تجد مناسبة لإصلاح ما فسد من الأمور . اغتنما فرصة الرقاد يا عينىّ المثقلتين من فرط السهر والتعب فلا تبصرا هذا المأوى المشين لساقىّ . وأنت أيها الدهر أمسّيك بالخير . ابتسم لنا ثانيًا ودُرْ دورتك (ينام) .

المشهد الثالث

(غابة)

(يدخل إنجار)

إنجـــــار : لقد سمعتهم ينادون اسمي ، ولحسن حظي تمكنت من الاختفاء في تجويف شجرة فنجوت ممن يطاردوني . ما من ثغر أمين . ما من مكان لا يوجد به حراس ورقابة شديدة خاصة تتربص للقبض عليّ . ولا أمل لي في الحياة إلا إذا تمكنت من الهرب . لقد قررت أن أتخذ لنفسي أحط المخلوقات وأفقرها ، مظهر من جعلته الفاقة والعوز أقرب إلى الحيوان منه إلى البشر فأبرزت فيه دناءة الإنسان . سألطخ وجهي بالقذر ، وأستر بخرقة عورتي ، وأعقد خصلات شعري في عُقد ، وأظهر عارياً متحدياً بذلك الرياح وجور السماء . إن لي في الريف ما يمكن أن أحتذيه من أمثلة وسوابق للمتسولين المعتوهين الذين يرتفع زئير أصواتهم وهم يغرزون في أذرعتهم

التى فقدت كل حس وشعور بالألم ، الدبابيس وأسياخ الخشب والمسامير وعيدان أكاليل الجبل . وبمظهرهم البشع هذا يستجدون من المزارع المتواضعة والقرى الفقيرة وحظائر الغنم والطواحين ، أحيانًا بلعناتهم المعتوهة وأحيانًا أخرى بتضرعاتهم . سأصير واحداً من هؤلاء المجانيب : توما المسكين . فى ذلك بعض الأمل . ولن أكون إدجار بعد الآن .

(يخرج)

المشهد الرابع

(أمام قلعة جلوستر . كِنت محبوس فى الدهق)

(يدخل لير وبهلول وسيِّد)

ليـــــــــر : غريب أن يغادرا دارهما هكذا ولا يجعلان رسولى يعود إلىّ .

السـيـــد : على حد علمى لم يكن فى نيتهما أمس أن يذهبا .

كِـــنـــت : سلام عليك يا مولاى النبيل .

ليـــــــر : ماذا ؟ أتتسلى بذلك الشىء المهين ؟

كِـــنـــت : لا يا مولاى .

بـهـلــول : هئ هئ . إنه يرتدى رباطًا قاسيًا فى رجليه . الخيل تربط بقيد فى رءوسها ، والكلاب والدببة فى أعناقها والقردة فى خصرها . أما البشر فيكون القيد فى أرجلهم . حين يكون الرجل صعلوكًا متسولاً بالغ النشاط فى رجليه عندئذ يرتدى جوارب من الخشب .

ليـــــــــر : من الذى أخطأ فى تقدير منزلتك إلى هذا الحد فوضعك هنا ؟

كِـــنـــت : هو وهى كلاهما : صهرك وبنتك .

ليـــــــر : لا

كِـــنـــت : نعم

ليـــــــر : أقول لا

كِـــنـــت : وأنا أقول نعم .

ليـــــــر : لا لا . مُحَال أن يفعلا ذلك .

كِـــنـــت : ولكنهما فعلاه .

ليـــــــر : أقسم بالإله جوبتر أنه لا يمكن .

كِـــنـــت : وأنا أقسم بالإله جونو أنهما فعلاه .

ليـــــــر : لا يمكن أن يجرؤا على ذلك . لا يمكن أن يجرؤا أو أن يشاءا أن يسلكا هذا السلوك . إنه لأبشع من القتل أن يعتديا بهذا العنف وعن قصد على مايستوجب الاحترام. أخبرنى بسرعة كيف أمكن أن تستحق أو أن يفرضا عليك هذه المعاملة وأنت رسولنا .

كِـــنـــت : مولاى . كنتُ فى قصرهما أسلمهما خطابات جلالتك وقبل أن أنهض من انحناءة الاحترام الواجبة إذا برسول زَفِر الرائحة مطهوٌ فى عرقه من عجلته يأتى منبهر النفس ويلهث بتحيات سيدته جونريل . وبالرغم من قطعه لمهمتى إلا أنه لما سلّم لهما خطاباتها قرآها فى الحال ، وحالما عرفا فحواها جمعًا حاشيتهما ولجآ إلى الخيل

مباشرة . وأمرانى بأن أتبعهما إلى هنا وأنتظر ردهما ، مظهرين البرود في نظراتهما إليّ ، وحين التقيتُ بذلك الرسول الذى أفسد ترحيبهما به استقبالهما لى تبينتُ أنه نفس الشخص الذى أظهر لجلالتكم مؤخراً وقاحته وقلة حيائه ، فثارت ثائرتى وتهورت وشهرت سيفى عليه فإذا بالجبان يملأ البيت بصراخه وصياحه . وقد رأى صهرك وابنتك أن هذا الذنب يستحق العقاب بالإهانة التى أتحملها الآن .

بهلول : الشتاء لم ينقضِ بعد أن كان الأوز البرى لا يزال يطير من هنا .

كلّ أب رداؤه الأسمالْ
أولاده يُصيبهم عَمَى العيونْ
أما الأب الحامل أكياس مالْ
أولاده بلطفهم يتّسمونْ
الحظ فى الدنيا بغىّ عاهرهْ
ما فتحت أبوابها للمعوزينْ

ومع ذلك فبسبب بناتك سيكون لك من الهموم بقدر ما تستطيع عدّه من المال فى سنة كاملة .

لير : آه ما أشد ما ينتفخ الورم ويضغط على قلبى — أكاد أختنق . يا مرض الرحم ، اهبط إلى أسفل ، أيها الأسى الصاعد ! مكانك إلى أسفل(١٨) . أين هذه الابنة ؟

كنت : مع إيرل جلوستر يا مولاى هنا داخل القصر .

لـيـــــــــر : لا تتبعونى . انتظروا هنا (يذهب)

الســـيـــد : ألم تزد إساءتك عما ذكرته ؟

كِــنـــت : أبداً . ما السبب فى أن الملك لا يصحبه سوى هذا العدد القليل من الرجال ؟

بـــهـــلـــول : لو كانوا وضعوك فى الدهق لسؤالك هذا لكنتَ جديراً بعقابك .

كِــنـــت : ولِمَ يا بهلول ؟

بـــهـــلـــول : سنرسلك إلى النمل لتتعلم منه أنه لا عمل فى الشتاء . كل من يتبع أنفه تقوده عيناه ما عدا العُمى . ولا يوجد أنف واحد بين عشرين أنفا لا يشم من تفوح رائحته الكريهة . أطلق قبضتك من على عجلة كبرى تنحدر إلى أسفل التل وإلا كسرت رقبتك حين تتبعها . أما إذا رأيت عجلة كبرى تدور إلى أعلى فتشبث بها لترفعك معها . إن أسدى لك حكيم نصيحة خيراً من هذه فردّ إلىّ نصيحتى. لن أريد أن يعمل بها سوى الأوغاد لأنها نصيحة بهلول أحمق .

من يؤدى خـدمــة لـكْ وهو يبـغى نفـعـهُ
ليـس إلا تابعـــا لكْ ظــاهـــريا كلَّهُ
فــإذا مـا تهطـل الأمطار تلـقـــــاه تـولىّ
تاركـا إياك فى عاصـفـــة الأنــواء تـبـــلى
غــيـر أنـى أنـــا بـــاق مـعك فالبـهلول يبـقى
بينما يمضى الحكيم

وإذا مـــا العـــبـــد ولى فـــهـــو بهلول لـئـــيم
بينـمـا البـــهلول لا يـصـبـح كـــالعـــبـــد الأثيم

كـــنـــت : أين تعلمت ذلك يا بهلول ؟

بـــهـــلـــول : ليس فى الذهق يا بهلول .

(يعود لير ومعه جلوستر)

لـيـــــر : يرفضـان أن يكلمانى ! مـتـوعكان ! منهكان من وعثـاء السـفـر طـول الليل ! ليسـت هذه سـوى مـعـاذير تدلّ على التمرد والعصيان . جئنى بجواب خير من ذلك ..

جلوســتــر : يا مـولاى العـزيز . أنت تـعـرف الدوق ومـزاجـه النارىّ وعناده وإصراره على موقفه .

لـيـــــر : القـصـاص ! الوباء واللعنات ! الخـراب والموت ! مـزاجـه النارىّ ؟ أىّ مـزاج ؟ جلوسـتـر يا جلوسـتـر إنى أريد أن أكلم دوق كورنوول وزوجته .

جلوســتــر : يا مولاى الكريم . لقد أخبرتهما بذلك .

لـيـــــر : أخبرهما . أتفهمنى أيها الرجل ؟

جلوســتــر : نعم يا مولاى الكريم .

لـيـــــر : الملك يريد أن يكلم كورنوول . الأب العزيز يريـد أن يكلم ابنته. يأمرها. يعرض عليها خدماته. هل أخبرتهما بذلك؟ قسمًا بحياتى ودمى ! نارىّ ! الدوق النارىّ المزاج . قل للدوق السـريع التـهـيج إن ... لا ليس الآن . فـربمـا هو مـريض ، والمرض يجـعل المرء يهمل واجبـاته ومـا يجب عليـه مراعـاته وهو مكتمل الصـحة . نحن لسنا أنفسنا

حين يصيبنا الإرهاق ، ويضطر العقل إلى المعاناة مع الجسد . سأمسك نفسي وأدين إرادتي المندفعة لعدم تمييزها بين ما يليق بالرجل السليم وما يليق بالمريض المتوعك. (يبصر كِنت) ويل سلطاني وملكي! لماذا يحبسونه هنا ؟ إن هذه الفعلة لتقنعني بأن احتجاب الدوق وزوجته هو مكر وخداع ليس إلاّ . أطلقوا سراح خادمي . اذهب وقل للدوق وزوجته إنني أريد أن أتكلم معهما، الآن فوراً. مُرْهما أن يأتيا ويستمعا إليّ وإلا قرعت الطبول أمام باب غرفتهما حتى تقضي كلية على النوم .

جلوستر : لكم أودّ أن تتصلح الأمور بينكم (يخرج)

لير : يا لفؤادي . فؤادي المنتفخ . انخمد .

بهلول : اهتف له يا عمّي كما هتفت الطاهية الساذجة لثعابين الماء حين وضعتها حيّة في العجين. لقد ضربت رءوسها بالعصى وقالت لها انخمدي أيتها المخلوقات الفاسقة ! انخمدي . إن أخاها هو الذي أراد أن يعطف على حصانه فوضع له الزبد في العلف(١٩)

(يعود جلوستر ومعه كورنوول وريجان وخدم)

لير : صباح الخير عليكما .

كورنوول : ولك التحية يا مولاي (يطلق سراح كِنت)

ريجان : يسعدني أن أراك يا مولاي .

ليـــــــــر : أظنك صادقة فى قولك هذا يا ريجان . لابد لى أن أعتقد ذلك لأنك إن لم تسرك حقًا رؤيتى نبذت قبر أمك مؤمنا بأن المدفونة فيه زانية ! (لكِنت) آه . أراهم قد أطلقوا سراحك ! سنبحث موضوعك فيما بعد (يخرج كِنت) . حبيبتى ريجان . إن أختك لا تساوى شيئًا . لقد أنشبت يا ريجان عقوقها بمخالبه الحادة فىّ هنا ، ينهشنى كالصقر (مشيرًا إلى قلبه)[٢٠] ولا أكاد أجد من الكلام ما يمكننى من أن أصف لك به ما فعلته - لن تصدقى مقدار الخسة والوضاعة ، آه يا ريجان !

ريجـــــــان : أتوسل إليك يا سيدى أن تتذرع بالصبر . إننى أرجو تقصيرك في تقدير شمائلها أشد من تقصيرها هى فى أداء واجبها إزاءك .

ليـــــــــر : وكيف كان ذلك ؟

ريجـــــــان : لا يمكننى أن أتصور أن أختى بمقدورها أن تقصر فى أدنى واجباتها . وإذا كانت يا سيدى قد حاولت أن تضع حدًا لعربدة أتباعك وحاشيتك ، فهى لم تصنع ذلك إلا لأسباب ولأهداف وجيهة تبرئها من كل لوم .

ليـــــــــر : لعناتى عليها !

ريجـــــــان : أنت رجل مسنّ يا سيدى وحياتك تشرف على نهايتها المقررة . لذا ينبغى أن يقودك ويرشدك من هو بمقدوره أن يقدر مركزك أكثر مما تستطيع أنت أن تقدر . أرجوك

إذن يا سيدى أن تعود أدراجك إلى أختنا وتخبرها أنك أخطأت فى حقها .

ليــــــــر : تريديننى أن ألتمس عفوها ؟ أتظنين أنه يليق بأسرتنا المالكة أن أقول لها مثلاً : «أيتها الابنة العزيزة . إنى أقر بأنى رجل عجوز . والشيخوخة لا جدوى منها . هأنذا راكعًا (يركع) أتوسل إليك أن تتفضلى علىّ بالملبس والفراش والطعام» .

ريجـــــان : كفى يا سيدى بالله عليك . كُفّ عن هذه الحيل الكريهة وعُدْ إلى أختى .

ليــــــــر : أبداً يا ريجان . إنها قررت تخفيض حاشيتى إلى النصف واكفهر وجهها لمرآى . ولطمتنى بلسانها فكان له أثر الأفعى فى قلبى . فلتنزل على رأسها العاق كل ما تخزنه السماء من ألوان الانتقام . وأنت أيها الهواء الملوث بالجراثيم لتصب عظامها الغضة بالكساح .

كــورنوول : يا للخزى !

ليــــــــر : أيها البرق الخاطف أنزل بلهبك فى عينيها اللتين ملؤهما الاحتقار وأصبهما بالعمى ، وأنت أيتها الأبخرة العفنة التى تصعد بها الشمس الشديدة من الأحراش أفسدى جمالها وأصيبى وجهها بالقروح .

ريجـــــان : يا للآلهة المباركة ! هكذا ستلعننى أنا أيضًا حين يأخذك طور الغضب والتهور .

لـيــــــــــر : لا يا ريجان . لن تصيبك لعناتي أبداً . فطبيعتك الرقيقة لن تستلم للغلظة . إن عينيها قاسيتان تحرقان . أما أنت فعيناك ملؤهما العزاء والسلوى . ليس من طبيعتك أن تضنّي عليّ بملذاتي أو أن تنقصي من حاشيتي أو تسلطي عليّ لسانك أو تبخلي عليّ بالزاد أو توصدي بابك في النهاية في وجهي . أنت أشد إدراكًا لواجبات الطبيعة ، لرابطة البنوة ولمظاهر المعاملة الطيبة ولما يقضي عليك به العرفان بالجميل . أنت لم تنسي أن نصف المملكة الذي تملكينه قد وهبتك إياه .

ريجــــــان : سيدى النبيل لنتحدث فى الموضوع الذى طلبتنا من أجله.

لـيــــــــــر : من الذى وضع رسولى فى الدهق ؟

(يسمع صوت بوق)

كــــورنوول : بوق من هذا ؟

ريجــــــان : هذا بوق أختى . أنا أعرفه . هذا يؤيد ما جاء فى خطابها من أنها ستكون هنا حالاً .

(يدخل أوزولد)

هل حضرت بسيدتك ؟

لـيــــــــــر : هذا عبد يستمد غطرسته من نعمة مخدومته الزائلة . اغرب عن وجهى أيها الولد الوضيع .

كــــورنوول : ماذا تعنى يا صاحب الجلالة ؟

لـيــــــــــر : من الذى أمر بحبس رسولى فى الدهق ؟ إن أملى كبير يا ريجان فى أنك تجهلين هذا الموضوع . من القادم ؟

(تدخل جونريل)

أيتـهـا الآلهـة في السـمـاوات. إن كنت تعطفين على الطاعنين فى السنّ ، إن كان حكمك الرحيم يحبذ طاعة الآباء ، إن كنت ذاتك طاعنة فى السن – لتجعلى قضيتك هى قضيتى وكونى عونًا لى . (إلى جونريل) ألا تخجلين من النظر إلى لحـيـتى هذه ؟ وأنت يا ريجـان أتسلّمين عليها بيدك ؟

جـــونـريل : ولِمَ لا يا سـيدى ؟ أى ذنب اقـترفـتـهُ ؟ إن مـا يعـتـبره الطيش والشيخوخة ذنبًا ليس دائمًا بالذنب .

لـيـــــــر : ألن ينفطر قلبى بعد ؟ كيف حُبس رسولى فى الدهق ؟

كـــورنـوول : لقد أمرت أنا بحبسه فيه ، وإن كانت عربدته تستحق عقابًا أشد .

لـيـــــــر : أنت ؟ أنت الذى حبسته ؟

ريجـــــان : أرجوك يا أبى أن تظهـر بالمظهـر الذى يناسب ضـعف الشيخوخة . عُدْ مع أختى وأقم معها حتى نهاية الشهر بعد أن تتخلص من نصف حاشيتك . ثم تعالَ إلىّ بعد ذلك . إننى الآن بعـيـدة عن بيـتى وليس لدىّ من المؤنة والزاد ما تقتضيه ضيافتك .

لـيـــــــر : أعود إليها وأتخلص من نصف حاشيتي؟ خمسين رجلاً؟ لا . الأفـضل لى أن أعـيـش بلا مـأوى ولا سـقف يظلنى أصـارع الهواء القارس وأصاحب الذئب والبوم وأحتمل عضّة الحاجة . أعود معها ؟ الأهون على نفسى أن أركع

أمام ملك فرنسا الشهوانى المتهوّر الذى تزوج ابنتنا الصغرى بلا صداق وأتوسل إليه كما لو كنت أحد خدمه أن يمنّ علىّ بمأوى يكفل لى حياة الذل والهوان . أعود معها ؟ ! الأسهل أن تقنعينى بأن أغدو عبداً ومكاريا لسائسها هذا المقيت (مشيراً إلى أوزوالد) .

جونريل : كما يحلو لك .

ليـر : أتوسل إليكِ يا ابنتى ألا تدفعينى إلى الجنون . لا لن أسبب لك المزيد من المضايقة يا ابنتى . وداعًا ! فلن نتقابل ولن يرى أحدنا الآخر بعد الآن . ومع ذلك فأنت ابنتى دمى ولحمى . أو الأحرى أن أقول إنك داء يكمن فى لحمى لابد أن اعترف بنسبه إلىّ . أنت دمّل وقيح وورم فى دمى المسموم . غير أنى لن أقرعك . ليأتك الشعور بالخزى حينما يشاء أن يأتى فلن أدعوه . لن أطلب من الإله حامل الرعد أن يصيبك برعده ولن أروى قصة بسيئاتك للرب جوبتر القاضى فى عليائه . أصلحى من نفسك حينما تستطيعين فى أى وقت تشائين . فأنا يمكننى أن أصبر وأقيم مع ريجان – أنا وفرسانى المائة.

ريجان : لا سيدى . فما كنت أتوقعك ولست على استعداد لاستقبالك كما ينبغى وبما يليق بشأنك استمع إلى أختى يا مولاى . إن من يرى بعين العقل غضبك هذا لابد أن يدرك أنك رجل طاعن فى السنّ ولذا ... فإنها تعرف ماذا تصنع .

لـيـــــــــر : أتظنين أنك أحسنت القول ؟

ريـجـــــان : نعم ! ألا ترى أن خمسين فارسًا فيهم ما يكفى ؟ ولماذا تحتاج إلى أكثر من ذلك ؟ بل حتى إلى خمسين ؟ إن هذا العدد الكبير فيه من مساوئ الخطر والنفقات ما يجعله غير مستحسن . فكيف يتسنى لهذا العدد الغفير من الناس أن يظلوا على وئام معًا فى بيت واحد وهم تحت إمرة شخصين مختلفين ؟ إنه لأمر صعب بل ويكاد يكون من المستحيل .

جـــونريل : وهل هناك ضير يا مولاى فى أن يكون من يقوم بخدمتك هم عين الناس الذين يخدمونها أو يخدموننى ؟

ريـجـــــان : لِمَ لا يا مولاى ؟ فحينئذ إذا توانى أحدهم فى خدمتك سهل علينا أن نحكمه . إذا كنت ستأتى إلىّ أرجوك ألا تحضر معك أكثر من خمسة وعشرين . لقد أدركت الآن مقدار الخطر الذى ينشأ عن ذلك العدد الكبير . لا لن آوى ولن أعتنى بأكثر من خمسة وعشرين .

لـيـــــــــر : لقد أعطيتكما كل ما أملك ...

ريـجـــــان : وحسنًا صنعتَ قبل فوات الأوان .

لـيـــــــــر : وجعلتكما وصيّتين علىّ وناظرتين . واشترطت فقط أن يظل معى مائة فارس . ماذا تقولين ؟ أيتحتم علىَّ ألا آتى إليك بأكثر من خمسة وعشرين ؟ أهذا هو ما قلته يا ريجان ؟

ريـجـــــان : وهذا هو ما أكرر قوله يا سيدى – لا أكثر من ذلك .

لير : إن المخلوقات الشريرة تبدو طيبة فى نظرنا حينما يوجد غيرها أشد شرًا منها . ومن هو ليس بأسوأ الناس لا يعدم الثناء. (إلى جونريل) سأذهب معك أنت، فالخمسون الذين وافقتِ عليهم ضعف الخمسة والعشرين . وحبك لنا ضعف حبها .

جونريل : استمع إلى يا مولاى لماذا تحتاج إلى خمسة وعشرين أو إلى عشرة أو إلى خمسة أتباع طالما أنت فى بيت يوجد فيه أضعاف هذا العدد مكلفون بخدمتك ؟

ريجان : حقًا لماذا يحتاج المرء ؟

لير : لا تناقشينى الحاجة . إن أفقر المساكين مهما بلغ عوزهم لديهم أكثر من مجرد ما يحتاجون إليه . ولو حرمنا الإنسان من كل شىء ما عدا ما تحتاجه الطبيعة لأصبحت حياته رخيصة لحياة الحيوان . أنت سيدة ولو كانت رغبتك فى الدفء هى كل ما وراء ملابسك الأنيقة هذه لما احتجت إلى تلك الثياب الهفهافة التى لا تكاد تجلب لك شيئًا من الدفء . أما عن الحاجة الصرفة ... أيتها السماء ، امنحينى الصبر ، الصبر الذى أنا بحاجة إليه . أنت أيتها الآلهة انظرى إلىّ هنا : رجلاً شيخًا مسكينًا مفعمًا بالحزن كما هو مفعم بالسنين . رجلاً بائسًا بحزنه وشيخوخته . إذا كنتِ أنت التى تؤلبين قلب هاتين البنتين ضد أبيهما فلا تجعلينى من الحمق بحيث أحتمل كل هذا صاغراً . أثيرى فى نفسى غضب الإباء ،

ولا تدعى قطرات الدموع التى هى سلاح النسوة تدنس منى وجنتى الرجل . لا أيتها الغولان اللتان عدمتا كل إحساس. إنى سأنتقم منكما انتقاماً يجعل الدنيا كلها... سأصنع أشياء – لا أعرف كنهها الآن – ولكنها ستكون من أفظع ما رآه العالم وأهواله . تظنان أننى سأبكى ؟ لا . لن أبكى . إن لدىّ كل سبب يدفعنى إلى البكاء (يسمع صوت عاصفة من بعيد) ولكن هذا القلب سينفطر ويتحطم إلى مائة ألف كسرة قبل أن أستسلم للدموع . يا بهلول . إننى سأفقد صوابى .

(يخرج لير ومعه جلوستر وأحد الحاشية وبهلول)

كورنوول : دعونا ندخل فالجو ينذر بالعاصفة .

ريجان : إن هذا البيت صغير ولا يتسع لإيواء الرجل العجوز وحاشيته .

جونريل : إنها غلطته . فقد شاء أن يحرم نفسه الراحة والآن ينبغى له أن يذوق طعم طيشه .

ريجان : فيما يتعلق بشخصه هو ، أنا على استعداد لاستقباله بسرور . أما عن أتباعه فلن أقبل واحداً منهم .

جونريل : وهذا هو عين الرأى . أين اللورد جلوستر ؟

كورنوول : لقد تبع الرجل العجوز إلى الخارج . لا . أراه قد عاد .

(يعود جلوستر)

جلوستر : إن الملك فى سورة غضب .

كورنوول : أين ينوى الذهاب الآن ؟

جلوستر : لقد أمر بتجهيز الجياد . ولكني لا أعرف إلى أين هو ذاهب .

كورنوول : من الأفضل ألا نحاول منعه من الذهاب . إنه عنيد .

جونريل : لا تطلب منه بأى شكل أن يبقى يا سيدى .

جلوستر : يا للأسف . الليل يقترب حثيثًا والرياح العاتية تهب بقسوة ولا تكاد توجد شجرة واحدة يحتمى بها المرء على مسافة أميال عديدة .

ريجان : الرجال العنيدون يا سيدى يعاقبون أنفسهم بما يجلبونه عليها من آلام . أغلق أبواب قصرك . فحاشيته رجال يائسون ومن الحكمة أن نخشى ما قد يحرضونه على فعله وهو فى حالته هذه مستعد للاستماع إليهم .

كورنوول : أغلق أبواب قصرك يا سيدى . إنها ليلة هائجة وزوجتى ريجان تنصحك بما فيه الخير . تعالَ واحتمِ من هذه العاصفة (يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(فلاة)

(عاصفة مصحوبة برعد وبرق. يدخل كِنت وسيد فيلتقيان)

كِنت : من هناك غير الجو العاصف ؟

السيد : رجل نفسه تعصف كالجو : شديدة الهيجان .

كِنت : أنا أعرفك . أين الملك ؟

السيد : يصارع العناصر المحتدمة . يناشد الريح أن تعصف بالأرض فتلقيها فى البحر أو ترفع المياه بالأمواج حتى تغطى اليابسة فتتغير الأشياء ويختلّ نظام الكون أو تنتهى الحياة فى الطوفان . يمزق شعر رأسه الأشيب الذى تضربه الرياح الغاضبة غير عابئة به فى هبوبها العنيف وحنقها الأعمى . وهو فى هياجه داخل نفسه إنما يحاول أن يبزّ الأنواء المتصارعة برياحها ومطرها . فى هذه الليلة التى تخشى أن تبرح فيها جحرها الدبّة الجائعة التى تكون قد أرضعت صغارها ولا يجرؤ الأسد

ولا الذئب الذى قرص الجوع بطنه أن يصيب البلل فراءهما - فى هذه الليلة يجرى الملك فى العاصفة عارى الرأس مجازفاً بكل شىء .

كـنـت : ولكن من معه ؟

السـيـد : لا أحد غير البهلول وهو يجهد فى أن يخفف بنكاته ألم فؤاده الطعين .

كـنـت : سيدى . إننى أعرفك وما أعرفه عنك يجعلنى أأتمنك بهذا السر الخطير . إن هناك شقاقاً بين أولبانى وكورنوول وإن كان كل منهما لا يزال يسعى إلى إخفائه بمكره ودهائه . وكلاهما - شأنهما فى ذلك شأن كل من كان حليفه الحظ فارتفع نجمه وسما مركزه - فى قصره خدم فى ظاهرهم خدم ولكنهم عيون لفرنسا يتجسسون لها عن أخبار دولتنا . وإما أن السبب هو ما رأوه من نزاعات ومكائد ودسائس بين الدوقين ، وإما هو قسوة معاملتهم للملك الشيخ الطيب ، وإما شىء أعمق ، وهذان ليسا سوى ذريعة وعلّة - ولكن الذى لا شك فيه هو أن جيشاً قادم من فرنسا ليغزو هذه المملكة المنقسمة . ولقد استفاد من إهمالنا وغفوتنا فنزل سرًّا فى عدد من أهم موانينا وهو الآن على أهبة لإظهار راياته علناً . وبعد ، فما دورك أنت فى هذا الموضوع ؟ أقول لك إن استطعت أن تثق فى كلمتى بحيث تسرع إلى دوفر وتصف بصدق ما يقاسيه الملك من عذاب مستطير يدفعه إلى الجنون -

إن فعلتَ ذلك وجدتَ من يشكرك . إنني رجل نبيل الأصل
والمحتد ، ولذا فأنا أطلب منك أن تؤدى هذه الخدمة بناء
على معرفة أكيدة بالموضوع .

السيد : لنتحدث عن هذه المسألة بقدر أكبر من التفاصيل .

كِنت : لا . لا داعى لذلك . ولكى تتأكد من أنى حقيقة أهم بكثير
مما يوحى به ظاهرى افتح كيساً وخذ ما به . وحين ترى
كورديليا - فستراها بلا شك - أرِها هذا الخاتم وحينئذ
ستخبرك من هذا الشخص الذى يقف أمامك الآن
ولا تعرفه بعد . تبًا لهذه العاصفة . أنا ذاهب للبحث
عن الملك .

السيد : أعطنى يدك . ألديك شىء آخر تود أن تقوله لى ؟

كِنت : كلمات قلائل وإن كانت أهميتها تفوق ما قلته حتى الآن.
وهى أنه بمجرد أن نجد الملك - وأنت تبحث عنه من هنا
بينما أنا أبحث عنه من هناك - من يعثر عليه أولاً
ليَصِحْ للآخر ليخبره .

(يخرجان كل منهما من ناحية)

المشهد الثانى

(ناحية أخرى من الفلاة . العاصفة مستمرة)

(يدخل لير وبهلول)

لـيــــــــر : هبى أيتها الرياح وانفخى حتى تصدّعى وجنتيك ! هبى. اعصفى . أيها الطوفان ، والأعاصير انهمرى حتى تغمر المياه الأبراج والكنائس وتغرق أعاليها ! وأنت يا نيران البرق التى تحرق بسرعة الخواطر منذرة بالرعد القاصف الذى يشطر السنديان ، أشيطى شعر رأسى الشائب . أنت أيها الرعد الذى يزعزع الكلّ . دك هذه الكرة الأرضية السميكة حتى تصير مسطحة مستوية . حطّم قوالب الطبيعة وبعثر جميع البذور التى ينمو منها الإنسان العاق .

بـهـلـول : يا عمّى . إن تدفق الزلفى فى بيت جاف خير من مياه المطر هذه فى الخلاء . يا عمّى الكريم ، ادخل واطلب

الرحمة من بنتيك . إن هذه الليلة لا ترحم عاقلاً ولا بهلولاً .

ليــر : اقصفى بكل ما فى أحشائك كما تريدين يا عاصفة . ابصقى النيران وصبّى الأمطار . ليست الأمطار ولا الرياح، لا ولا الرعد ولا النيران ببناتى. إننى لا أتّهمك بالقسوة أيتها العناصر : فلم أهبك مُلكًا ولم أدعُك بأطفالى . لستِ مدينة لى بالطاعة أو الوفاء . انهمرى إذن بما يحلو لك من الفظاعة . هأنذا أقف هنا عبداً لك شيخًا عجوزاً مسكينًا عاجزاً ضعيفًا ومحتقراً . ومع ذلك فإنى أقول لك إنك أداة صاغرة لأنك تتضافرين بجيوشك العليا مع بنتين شريرتين فتعتدين على رأس عجوز أشيب كرأسى ، أواه ياللفظاعة !

بهلول : عاقل من يملك بيتًا يضع فيه رأسه إذ لديه غطاء رأس سليم[٢١]

من بنى بيتًا لذكره قبل أن يبنى لرأسه
نزل القمل برأسه
هكذا الشحاذ مزواج

. . .

والذى يجعل إصبع القدم
فى مركز الفؤاد
سوف يعانى ألم الورم
وسوف يغدو نومه سهادْ

ما من حسناء حتى الآن إلا وتطيل النظر إلى وجهها فى المرآة .

(يدخل كنت)

ليــــــــر : لا . سأكونُ مثالاً يحتذى فى الصبر . ولن أنبس بلفظ .

كـــنـــت : من هناك ؟

بــهــلــول : هنا جلالة وبهللة [٢٢] . أى رجل عاقل ورجل أبله .

كـــنـــت : يا للأسى . أأنت هنا يا مولاى ؟ إن المخلوقات المولعة بالليل لا تحبّ مثل هذه الليلة، فالسماوات الغاضبة تبعث الرعب فى نفوس الوحوش التى تهيم بالليل وتدفعها إلى الاعتكاف بكهوفها. لست أذكر منذ أن بلغت مبلغ الرجال أننى شاهدت مثل هذه الصفائح النارية الهاطلة ، مثل هذا الرعد المجلجل الفظيع ، مثل هذا الصراخ والعويل من الرياح المزمجرة والمطر . إن طبيعة البشر لا تقوى على احتمال هذا العذاب ولا هذا الرعب .

ليــــــــر : دع الآلهة العظيمة التى تثير هذا الصخب المرعب فوق رءوسنا تكتشف الآن من هم أعداؤها الذين يجزعون . ارتعد أيها الشقىّ الذى يضمر فى نفسه جرائم خفية لم تعاقبه عليها العدالة . وأنتِ أيتها اليد الدموية اختبئى . يا حانث اليمين ، أيها المخاتل الذى يدّعى الفضيلة ويرتكب الزنا بين المحارم . أيها اللعين الذى تحت ستار من النفاق والرياء المغرض ، تآمرَ على حياة البشر ، لترتعد فرائصك . أيتها الجرائم المستترة مزِّقى أغشيتك

التى تختبئين وراءها واصرخى طالبة العفو من هذه العناصر الرهيبة التى تطلبك لتحاكمك . أما أنا فرجل مظلوم أكثر منه ظالمًا .

كينت : أسفى عليك حاسر الرأس هكذا ! مولاى الكريم : بالقرب منا خُصّ يوفّر لك بعض الحماية من هذه العاصفة . استرح فيه ريثما أذهب أنا إلى ذلك البيت القاسى – الأقسى من الحجر الذى بُنى منه . لقد أغلق أصحابه البيت فى وجهى منذ قليل حينما ذهبت لأسأل عنك فيه . ولكنى سأعود إليهم وأُجبرهم على التفضل علينا بزهيد ضيافتهم .

ليـر : عقلى بدأ يصيبه الخبل . تعالَ يا غلام . كيف حالك يا غلام ؟ أبردان أنت ؟ أنا نفسى بردان . أين ذلك الخص يا سيد ؟إن الضرورة لها قدرة عجيبة على أن تجعل أحطَّ الأشياء تبدو ثمينة فى نظرنا . هيا بنا إلى خصك . يا بهلول المسكين ، لا يزال فى قلبى فلذة تتألم لك يا غلام .

بهلول : من كان عنده ولو خردلة من الرشاد
فى الريح والمطر
عليه أن يرضى بقسمة العباد
حتى وإن كان المطر
فى كل يوم ينهمر

ليـر : صحيح يا غلام . هيا قدنا إلى ذلك الخص .

(يخرج لير وكِنت)

بــهــلــول : هذه ليلة كفيلة بأن تصيب العاهرة بالبرود . سأقول لكم نبوءة قبل أن أذهب : حينما تكون ألفاظ الوعاظ أشد دلالة وحينما يفسد صانعو الخمور خمرهم بخلطها بالماء وحينما يصبح النبلاء هم معلّمي خياطيهم حرفتهم ، وحينما لا يحرق الزنديق ويحرق من يجرى وراء النساء ، حينما تكون كل قضية في المحكمة عادلة فيستوى المذنب والبرىء – حينئذ تعمّ الفوضى فى مملكة ألبيون بعدها لم يوجد سيد بلا ديون ولا فارس فقير ويكون مقر النميمة غير الألسنة، ولا يندسّ النشالون وسط الجماهير ويعدّ المرابون مالهم علنًا ، وتبنى العواهر والداعرات الكنائس . ومن يَعِشْ حتى ذلك الزمن يَرَ أن المشى لا يكون إلا على الأقدام . هذه النبوءة سيتفوه بها الساحر ميرلين ، فأنا أعيش قبل زمانه .(٢٣)

المشـهـد الثـالـث

(غرفـة فـي قـلعـة جـلوسـتر)

(يدخل جلوستر وإدموند يحملان المشاعل)

جلوستر : يا للأسف يا إدموند . إنه لتسوؤنى هذه المعاملة الشاذة القاسية . وحينما أردت أن أستأذنهم فى أن أقدم له العون سلبونى حق التصرف فى بيتى وأمرونى ألا أذكره لهم أو أتشفع له أو أعتنى به على أى نحو وإلا كان جزائى سخطهم الدائم .

إدموند : يا للوحشية والشذوذ !

جلوستر : صه! لا تقل شيئًا لأحد. هناك نزاع بين الدوقين، بل هناك ما هو أسوأ من ذلك . لقد تسلمت خطابًا هذا المساء من الخطر التحدث عنه وقد أغلقت عليه خزانتى . إن هذه الإهانات التى يتحملها الملك الآن سيعاقب أصحابها عقابًا صارمًا . لقد نزل فعلاً جزء من جيش فى البلاد ولابد لنا أن نعضّد الملك . سأبحث عنه وأسرّى عنه فى

الخفاء . اذهب أنت واشغل الدوق بالحديث كيلا يلاحظ إحسانى إلى الملك . وإذا سأل عنى فقل له إنى متوعك وآويت إلى فراشى . لابد أن أسرّى عن الملك مولاى القديم حتى وإن كانِ فى ذلك موتى كما هددونى . إن أحداثًا غريبة على وشك الوقوع يا إدموند فخذ حذرك . أرجوك .

(يخرج)

إدمــــوند : إدموند هذا الكرم الذى نُهيت عنه سيعلم به الدوق حالاً . كما أنه سيسمع بموضوع هذا الخطاب أيضًا . وفى هذا ما هو جدير بالمكافأة . وما من شك فى أن ما يفقده أبى سيخلع علىّ ولن يكون ذلك أقل من جميع أملاكه . متى سقط الكبارُ سما الصغار .

(يخرج)

المشهد الرابع

(الفلاة . أمام خُص)

(يدخل لير وكِنت وبهلول)

كِـنـت : هاهو المكان يا مولاى ، تفضل فادخل يا مولاى الكريم . إن قسوة الخلاء فى ليلة كهذه لا تقوى على احتمالها طبيعة البشر (العاصفة مستمرة)

لـيـر : اتركنى وشأنى .

كِـنـت : يا مولاى الكريم ، ادخل .

لـيـر : أتريد أن ينفطر قلبى ؟

كِـنـت : ليت قلبى أنا الذى ينفطر يا مولاى . ادخل يا مولاى الكريم .

لـيـر : أنت تظن أنه أمر فظيع أن تخترق هذه العاصفة العاتية جسد المرء . ولا شك أنه شىء فظيع فى نظرك أنت ، ولكن حينما يتوغل الداء الأعظم لا يكاد يشعر الإنسان

بما يسببه الداء الأقل من آلام . المرء يهرب من الدّب
ولكن إذا لم يكن هناك مهرب منه بسوى البحر الهائج
حينئذ يؤثر المرء أن يلتقى بفم الدب . حينما يكون البال
خاليًا يكون الجسد شديد الإحساس بالألم . إن
العاصفة الأخرى التى تحتدم فى ذهنى تسلب حواس
كل إحساس ما عدا ما يضطرم فى داخله . وهو
الإحساس بعقوق الأبناء . إنه كما لو كان هذا الفم يمزق
هذه اليد لأنها ترفع الطعام إليه . ولكنى سأنزل بهما
شديد العقاب . لا . سأكف عن البكاء . يوصدون الباب
فى وجهى فى ليلة كهذه ؟ اهطلى أيتها السماء فقد
عقدت عزمى على الصبر والاحتمال . فى ليلة كهذه
يا جونريل ويا ريجان ؟ تطردان أباكما الطيب العجوز
الذى منحكما قلبه الكريم كل ما يملك ؟ أوّاه إن هذا
الخاطر يؤدى بى إلى الجنون . يجب أن أتجنبه إذن .
لابد أن أكف عن التفكير .

كنت : مولاى الكريم ، أدخل .

ليـر : ادخل أنت ، أرجوك ، والتمس راحتك . هذه العاصفة
تحول بينى وبين التفكير فى أشياء تسبب آلامًا أشد
تبريحًا . ولكنى مع ذلك سأدخل (إلى بهلول) ادخل أنت
أولاً يا بنىّ أنت الفقير بلا مأوى ، ادخل سأتلو هذه
الصلاة أولاً ثم أنام .

(يدخل بهلول)

أيها المساكين العرايا أينما تكونون ، يا من تقاسون من سياط هذه العاصفة القاسية كيف يمكن لأسمالكم ولثيابكم المهلهلة أن تقيكم من مثل هذه الأنواء وأنتم خاوو البطون عراة الرءوس وبلا مأوى . آه إننى لم أفكر فى هذا الأمر من قبل كما ينبغى . أيها البذخ تناول هذا الدواء : عرّض ذاتك لما يشعر به المساكين ، لعلك تتعطف عليهم بما يفيض عن حاجتك ، فتبدو لهم السماء أعدل مما يرون .

إدجـــــار : (من الداخل) قامة ونصف من المطر ! قامة ونصف . طوفان يا توما المسكين !

(يخرج بهلول من الخص راكضاً)

بـهـلـول : لا تدخل يا عمّى ! هنا عفريت . النجدة ! النجدة !

كِـنـت : هات يدك . من هناك ؟

بـهـلـول : عفريت . عفريت يقول إن اسمه توما المسكين .

كِـنـت : من أنت يا من تدمدم هناك فى القش؟ اخرج فى الحال .

(يظهر إدجار متخفياً كشحاذ مجنون)

إدجـــــار : ابعد عنى . إبليس النجس يلاحقنى. فى الزعرور الشائك تهب الرياح (يزوم) اذهب إلى فراشك للتدفئة .

لـيـــر : أأعطيتَ بناتك كل ما تملك فآل مآلك إلى هذا ؟

إدجـــــار : من منكم يتصدق بشيء لتوما المسكين ؟ الذى لاحقه إبليس اللعين خلال النار واللهب ، عَبْرَ المخاوض والدوامات ، والأوحال والمستنقعات ، وأخفى السكاكين

تحت وسادته وأدلى حبل المشنقة من شرفته ، ووضع سم الفئران بجوار حسائه ، وأفعم فؤاده بالغرور فراح يعبر جسراً عرضه أربع بوصات على ظهر فرس كميت يتبختر به ، ويطارد خياله ظنًا منه أنه خائن . بورك فى ملكاتك الخمس، فى عقلك[٢٤] توما بردان! دى! دى! دى! وقال الرب من الزوابع والعدوى وشر النجوم . حسنة لتوما المسكين الذى يكيد له إبليس اللعين. هاهو ذا هنا وأستطيع أن أمسك به ! لا هو هناك . لا لقد عاد إلى هنا . لا بل هناك .

(العاصفة مستمرة)

لـيـــــــر : ماذا به ؟ هل دفعته بناته إلى هذه الحال ؟ ألم تتمكن من أن تحتفظ لنفسك بشىء ؟ أكانت مشيئتك أن تعطيهن كل شىء ؟

بـهـلـول : لا . لقد احتفظ لنفسه بشىء يتغطى به وإلا لأخجلنا جميعًا .

لـيـــــــر : لتنزل على بناتك جميع الأوبئة التى تحوم فى نبذبات الهواء لتنقضَّ كالقدر على ذنوب البشر .

كنـــــت : ليس له بنات يا مولاى .

لـيـــــــر : الموت لك أيها الخائن ! لا شىء يفلح فى إذلال طبيعة الرجل ويهبط به إلى هذا الدرك غير بناته القاسيات . هل الشائع الآن ألا يرحم الآباء المنبوذون أجسادهم بهذا الشكل ؟ حقًا إنه لحكم عادل فهذا الجسد ذاته هو

الذى أنجب تلك البنات الغـادرات بآبائهن يمتـصـصن دماءهم مثل البجع . [٢٥]

إدجـــــار : بُجَيْعَة حطّت على تل الذَّكَر ، هيا . هيا .

بـــهــلــول : هذه الليلة القارسة ستجعلنا جميعًا بلهاء ومجانين .

إدجـــــار : حذار من إبليس اللعين . أطع والِديك . كن عادلاً بالفعل وبالقول . لا تحلف . لا تزيّد مع من كانت زوجة شرعية للغير . لا تغرم ببهرج الثياب . توما بردان .

لـيـــــر : ماذا كانت مهنتك ؟

إدجـــــار : خادم . أبىُّ القلب والنفس. كنت أصفف شعرى وأرتدى قفاز سيدتى فى قبعتى وأذعن لما يعترم فى فؤادها من شهوة وأفعل معها فعلة الظلام . كنت أقسم أيمانًا بعدد ما أتفوه به من ألفاظ ثم أحنث بها فى وجه السماء العادلة . كنت فى نومى أدبر وسائل الشهوة وأنفذها فى يقظتى ، أحببت الخمر بإفراط وشغفت بالميسر . أما عن عشق النساء فقد فُقت سلطان الترك فى عدد خطاياى . منافق سريع التصديق لحديث السوء . دموىّ اليد . خنزير فى الكسل. ثعلب فى الاختلاس. ذئب فى الجشع. كلب فى جنون الغضب . أسد فى الاقتناص . لا تدع قلبك الضعيف تخدعه امرأة لزقزقة حذائها الأنيق أو لحفيف ملابسها الحريرية . لا تدع قدمك تطأ بيت دعارة ولا يدك تندسّ فى شق ثياب غانية . لا تدع قلمك يقرب دفاتر المرابين . وتحدّ إبليس اللعين . فى الزعرور

الشائك لا تزال تهب الرياح الزمهرير **(يزوم مقلداً صوت الريح)** هيه نُونِي نوني. درفيل يا ولد إبليس يا ولد. هيا .
..عه يمر **(العاصفة مستمرة)**

ليــــــــر : كان الأفضل لك أن تكون راقداً فى قبرك من أن تجابه السماء القاسية هكذا بجسدك العارى . هل الإنسان ليس أكثر من هذا ؟ تأمل جيداً . إنك لستَ مديناً للدود بالقزِ ولا للثور بالجلد ولا للخروف بالصوف ولا لسنُور الزباد بالعطر . ها ! ها نحن الثلاثة رجال هنا مزيفون . أما أنت فإنك الشيء الحقيقى الأصيل - الإنسان بدون زخرف ليس إلا مثل هذا الحيوان الذى يمشى على اثنتين ، العريان المسكين الذى هو أنت . إليك عنى أيتها الأشياء المستعارة . تعالَ فكّ هذه الأزرار .

(يمزق ثيابه ويخلعها ويطرحها جانباً)

بـهـلـول : أتوسل إليك يا عميّ أن ترضى وتكفّ . الليلة فظيعة لا تصلح للسباحة . إن ناراً ضئيلة تتراءى فى الأرض البور أشبه بقلب فاجر عجوز : شرارة طفيفة بينما سائر الجسم بارد . انظر . هنا تأتى نار تسعى على قدمين .

(يدخل جلوستر حاملاً شعلة)

إدجــــار : هذا هو الشيطان النجس فلَبْر تَجِبتْ [٢٦] يظهر عند جرس المساء ويظل يسير حتى صياح أول ديك فى منتصف الليل . هو الذى يصيب العيون بالماء الأزرق والحَوَل ويسبب شرم الشفاه ، يلحق العفن بالقمح قبل

أن يتم نضجه ويؤذى المخلوقات المسكينة على هذه الأرض .

قد سار فى الغاب سويتُولدُ ثلاثا بعدها
أبصر كابوسًا كسعلاة ومعها
تسعة أولاد - عفاريت - قال لها
ترجّلى ، تعهّدى ،. وافرنقعى يا ساحرة
افرنقعى.

كِـنـت : كيف حالك يا مولاى ؟

لِيـر : من هذا الرجل ؟

كِـنـت : من هناك ؟ ماذا تريد ؟

جلوستر : من أنتم ؟ ما أسماؤكم ؟

إدجـار : توما المسكين الذى يتقوت بالضفادع السابحة وضفادع الجبل ، ويأكل أبا ذنيبة وسحلية البر والبحر . وحينما يهيج إبليس اللعين يدفعه ما يجيش فى ذهنه من الجنون إلى أن يأكل روث البقر بدلاً من السَلَطة، ويزدرد الجرذان الهرمة والكلاب الميتة الجيفة الملقاة فى الأخاديد. يشرب حثالة ماء البرك الآسنة الخضراء . يجلدونه للتشرد فى كل كفر، ويعاقبونه بالدهق والسجن. مع أنه كان له ثلاث حلل وستة قمصان وأحصنة يركبها وأسلحة يحملها ولكنه منذ سبع سنوات وطعامه الفئران والجرذان والصيد الدنيء . حذار من شيطانى الذى يلاحقنى . صه يا سِملّكِنْ . اسكت يا عفريت .

جلوستر : مولاى . أليس فى صحبتك خير من هذا ؟

إدجار : إن الشيطان أمير الظلام بسيد محترم اسمه مُودُو ومَاهُو.

جلوستر : مولاى . إن أولادنا لحمنا ودمنا قد بلغوا من الخسّة أنهم يكرهون من أنجبهم .

إدجار : توما المسكين بردان .

جلوستر : تفضل ادخل معى . إن واجبى إزاءك لا يحتمل إطاعة جميع أوامر ابنتيك الصارمة . لقد أمرتانى بأن أوصد باب قصرى تاركًا إياك تحت رحمة هذه الليلة الغاشمة . ولكنى جازفت بالمجىء إلى هنا للبحث عنك لآخذك إلى حيث هيأت لك الدفء والطعام .

ليـر : دعنى أولاً أتحدث إلى هذا الفيلسوف العالم . قل لى ما الذى يسبب الرعد .

كِنت : مولاى الكريم اقبل دعوته وادخل البيت .

ليـر : أريد كلمة مع هذه العلامة من طيبة . ماذا تدرس ؟

إدجار : كيف أتقى إبليس وأقتل القمل ؟

ليـر : دعنى أسألك سؤالاً واحداً فى السر .

كِنت : التمس منه مرة أخرى يا سيدى أن يذهب معك . إن عقله بدأ يضطرب .

جلوستر : هل تلومه على ذلك ؟ **(العاصفة مستمرة)** . ابنتاه تريدان موته. آه ما أصدق الرجل الطيب كِنت . لقد تنبأ المسكين المنفىّ بكل هذا . تقول إن الملك بدأ يصيبه الجنون . أنا

أقول لك إننى نفسى أكاد أجنّ . لقد كان لى ابن – ولكنى الآن منه براء – حاول أن يقتلنى منذ وقت وجيز ، وجيز جدًا كنت أعزّه يا صديقى . ما أحب أب ابنه مثلما أحببته . صدقنى إن الحزن أصابنى بالخبل . يالها من ليلة فظيعة . أتوسل إليك يا مولاىَ .

ليـــــر : عفوًا يا سيدى . أيها الفيلسوف النبيل . أريد صحبتك .

إدجـــــار : توما بردان .

جلوستـــر : ادخل يا رجل فى الكوخ . ادخل للتدفئة .

ليـــــر : هيا لندخل جميعًا .

كِـــنــت : مِنْ هنا يا مولاى .

ليـــــر : معه . أريد أن أبقى مع فيلسوفى .

كِـــنــت : مولاى . جَارِهِ . دعه يصطحب الرجل .

جلوستـــر : خذه أنت .

كِـــنــت : تعالَ يا هذا . هيًا معنا .

ليـــــر : تعال أيها الأثينى الحكيم .

جلوستـــر : صه . صه . لا يتكلم أحد !

إدجـــــار : الفارس الفتى رولاَند جاء بُرْجًا مظلمْ (شعر)

فسمع المارد يلقى صيحته
يقول فى – فُو – فَمْ
إنى أشَمّ دمْ
دم بريطانى . دم (٢٧)

المشهد الخامس

(غرفة فى قلعة جلوستر)

(يدخل كورنوول وإدموند)

كـــورنوول : سأنتقم منه أكيد قبل أن أغادر بيته .

إدمـــــوند : سيدى ماذا سيظن الناس بى حين يرون أن ولائى لك قد غلب على حبى الفطرى لأبى . إنه لأمر يفزعنى أن أفكر فيه .

كـــورنوول : الآن يتبين لى أن الذى دفع أخاك إلى السعى إلى قتله لم يكن مجرد طبعه الشرير بل أيضًا إحساسه بما يعيب أباه من نقائض .

إدمـــــوند : من نكد حظى أنه يتحتم علىَّ أن أندم على كونى صادقًا عادلاً . هذا هو الخطاب الذى تحدث عنه والذى يثبت أنه يتجسس لصالح فرنسا . أيتها السماوات ليت هذه الخيانة لم تكن وليتنى لم أكن أنا الذى اكتشفتها .

كـــورنوول : تعال معى إلى الدوقة .

إدمـــــــونـد : إذا صح مـا جـاء في هذه الورقـة كـانت أمـامك مـهـام خطيرة عاجلة .

كـــورنوول : صحيحًا كان أو كذبًا لقد جعلتك الآن إيرل جلوستر . فتش عن أبيك حتى يتم اعتقاله .

إدمـــــــونـد : **(لنفسه)** إن وجدته وهو يواسى الملك ويعضّده كان فى ذلك ما يزيد الشك فيه للغاية **(بصوت مرتفع)** سأواصل السير فى سبيل ولائى وإن كان الصراع أليمًا بين ذلك وبين رابطة الدم التى تربطنى بأبى .

كـــورنوول : سأضع ثقتى فيك ولسوف تجد فى محبتى لك أبًا أعزّ من أبيك .

(يخرجان)

المشهد السادس

(حجرة في مزرعة بجوار القلعة)

(يدخل جلوستر وكِنت)

جلوستر : هنا أفضل من الخلاء فاحمد ربك . سأحاول أن أوفر بعض وسائل الراحة بقدر ما أستطيع . لن أغيب طويلاً عنكم .

كِنت : لقد غلب نفاد صبره على جميع قواه العقلية . جزتك الآلهة خير الجزاء على كرمك **(يخرج جلوستر)**

(يدخل لير وإدجار وبهلول)

إدجار : الجنّي فَرَاتَرِتُو يناديني ليخبرني أن نيرون يصطاد الضفادع في بحيرة الظلام بالجحيم . صلِّ أيها الساذج واحذر إبليس اللعين .

بهلول : قل لي أرجوك يا عمّي هل المجنون سيّد أم فلاّح ؟

لير : إنه ملك ، ملك .

بـــهـــلـــول : لا هو فلاح ابنه سيد . إنه لفلاح مجنون ذلك الذى يرى ابنه سيداً قبله .

لـيـــــــر : لينتقض عليهما ألف بسُفُد ذات أزيز حارقة حمراء !

إيجــــــار : إبليس اللعين يعضّني في ظهرى .

بـــهـــلـــول : مجنون من يثق فى لطف ذئب أو فى حب فتى أو فى قَسَمٍ عاهرة أو فى كلام من يود أن يبيعه حصاناً .

لـيـــــــر : هذا هو ما سأفعله . سأنصب المحكمة وأحاكمهما فى التو . (إلى إيجار) تعال واجلس هنا يا حضرة القاضى المحترم . (إلى بهلول) وأنت يا سيدى الحكيم اجلس . اجلس هنا . والآن أنتما أيها الثعلبتان .

إيجــــــار : انظر إليه واقفًا هناك يحملق . أتريدين أن يحضر المتفرجون والمعجبون محاكمتك يا سيدتى ؟ (يغنّى) تعالى يا حبيبتى بِسَّى إلىّ عبر الغدير .

بـــهـــلـــول : زورقها فيه ثقوب .

وليس مسموحًا لها بأن تجيب

كيف إذن تأتى إليك أيها الغرير ؟

إيجــــــار : الشيطان اللعين يطارد توما المسكين منتحلا صوت العندليب . هُوبِنْداس الإبليس يزمجر فى بطن توما من الجوع لأجل سمكتين بيضاوين . لا تدمدم أيها الشيطان ليس عندى طعام لك .

كِـــنـــت : كيف حالك يا مولاى ؟ لا تقف مذهولاً هكذا ، تفضل فاجلس واسترح على هذه الوسائد .

لـيــــــــر : سـأفـرغ من مـحـاكـمتـهـمـا أولاً . هـاتوا الشـهـود . (إلى إدجار) أنت أيها القاضى المتلفع بطيلسانك . خذ مكانك هنا . (إلى بهلول) وأنت زميله فى العدالة ، اجلس بجانبه على المنصة . (إلى كنت) أنت أيضًا ضمن هيئة القضاة، فاجلس أنت أيضًا .

إدجـــــــار : لنحكم بالعدل والقسطاس .

أنائم أم يقظ يا أيها الراعي الطروب
تجول فى حقول القمح أغنامك
ونفخة واحدة من فمك الحبيب
تعيدها سالمة إلى جوارك
قرقر القط الأسمر الشيطان

لـيــــــــر : حـاكـمـوا هذه أولاً : إنهـا جـونريل . أقـسم أمـام هذا المجلس الشريف أنها طردت أباها الملك المسكين .

بـهـــلــول : اقتربى يا سيدة . هل اسمك جونريل ؟

لـيــــــــر : لن تستطيع أن تنكر ذلك .

بـهـــلــول : عفوًا . لقد ظننت أنك كرسىّ .

لـيــــــــر : وهذه أخـرى يدل مظهـرها المـمسـوخ على المعـدن الذى جبل منه قلبها ، أمسكوها . هاتوا السـلاح . السـلاح : السيف والنار . محكمة فاسدة ! أيها القاضى المزيف لِمَ سمحت لها بالهروب ؟

إدجـــــــار : حفظ الرب عقلك .

كِـنــــت : وا أسفـاه يا مولاى . أين ولّى ذلك الصبر الذى كثيراً ما زعمت أنك محتفظ به ؟

إدجـــــار : (لنفسه) إن دموعى أخذت تنهمر عطفًا عليه فكادت تفسد تنكّرى .

لـيــــــر : الكلاب كلها حتى صغارها ترِيْى وبلاَنْش وسوِيْتَهارت جميعها تنبح علىّ . انظر .

إدجـــــار : توما سيقذفها بقرنه .[٢٨] هيا . امشى . إليك عنا أيتها الكلاب اللئيمة :

سوداء أو بيضاء كنت فى فمك
مهما يكن من السمومَ فى أنيابك
من كلِ ضرب كنت من سلوقىّ ومن مولّد مخيف
كلابَ صيد أو كلابَ بيت
بتراء أو ساحبة أذنابها الطويلة –
توما هنا يهشّها حتى تفرّ
هاربة صارخة جميعها فى التّوِ
حالما يقذف قرنه فى وجهها

دُو دِى دِى دِى هيا! اذهبى إلى المآتم والحفلات والأسواق. توما المسكين . لقد نضب معينك !

لـيــــــر : إذن فليشرِّحوا جسد ريجان ليروا ما ينمو حول قلبها . هل فى الطبيعة شىء هو علّة هذه القلوب الجامدة ؟ (إلى إدجار) أنت يا سيدى سأستخدمك كواحد من المائة الذين تتألف منهم حاشيتى . ولكن هناك اعتبار واحد هو

أنني لا أحب طراز ثيابك. قد تقول إنها فارسية. حسناً ! ولكني أريدك أن تغيّرها .

كـــنـــت : والآن يا مولاى الكريم . ارقد هنا واسترح لحظة .

لـيـــــر : لا تُحدِثوا أى جلبة. لا تحدثوا أيِ جلبة. اسدلوا الستائر هكذا . هكذا . هكذا . وفى الصباح نتوجه للعشاء .

بـهـلـول : وأنا سأوى إلى فراشى فى الظهر .

(يعود جلوستر)

جلوستـر : تعال هنا يا صديقى . أين مولاك الملك ؟

كـــنـــت : هنا يا سيدى . ولكن أرجوك ألا تزعجه . لقد اختل عقله.

جلوستـر : أتوسل إليك أن تحمله فى ذراعيك يا صديقى الكريم . لقد سمعتَ عرضا أنهم يتآمرون على حياته . لدينا محفّة جاهزة فانقله فيها واركب إلى دوفر حيث تجد الترحيب والحماية . ارفع مولاك فى الحال ، فإنك إن تلكأت نصف ساعة فقط ضاعت حياته وحياتك وحياة كل من تطوع للدفاع عنه بكل تأكيد . هيا . ارفعه ! أرفعه واتبعنى حيث أدلّك بسرعة على بعض المئونة .

كـــنـــت : الطبيعة المجهدة تلجأ إلى النوم . هذه الغفوة ربما كانت بلسما لأعصابك المحطمة التى يتعذر شفاؤها إن لم تتهيأ للراحة. **(إلى بهلول)** تعال وعاونِّى على حمل مولاك. يجب ألا تبقى هنا .

جلوستـر : هيا . هيا بنا .

(يخرج كنِت وجلوستر وبهلول يحملون الملك)

إدجـــــــار : حينما نرى أسيادنا يقاسون ما نقاسى لا نكاد نعتبر مصائبنا أعداءنا من تألم وحده كان ألمه أشد على النفس حين يولّى ظهره لمظاهر السعادة وخلو البال . لكن النفس تتخطى الكثير من العذاب حين يكون للحزن أتراب وزملاء فى الأسى . لكم يبدو ألمى الآن خفيفًا سهل الاحتمال حين أرى الذى أحنى ظهرى قد جعل الملك يطأطئ . لقد قسا عليه أولاده بينما أنا قسا علىّ والدى .

لتهرب يا توما ... وراقب تطور هذه الأحداث الجسام . ثم أظهر نفسك على حقيقتها بعد أن تدحض ما افتروا عليك من أكاذيب ولفّقوا لك من تهم تدنّس شخصك — تدحضها بدليل صدقك ونزاهتك حتى تستعيد منصبك ويتم لك الصلح مع أبيك . ومهما يحدث هذه الليلة من أحداث لتأمل أن يكتب للملك النجاة . هيا . اختبئ . اختبئ وتربص الفرصة . **(يخرج)**

المشهد السابع

(غرفة في قلعة جلوستر)

(يدخل كورنوول وريجان وجونريل وإدموند وخدم)

كورنوول : **(إلى جونريل)** اذهبى بسرعة إلى السيد زوجك وأريه هذا الخطاب . لقد نزل الجيش الفرنسى فى البلاد . فتّشوا عن الخائن جلوستر . **(يخرج بعض الخدم)**

ريجان : اشنقوه فى التو .

جونريل : اقلعوا عينيه .

كورنوول : اتركوه لى أصبَّ عليه جام سخطى . اذهب أنت يا إدموند ورافق أختنا . إن العقاب الذى نحن مضطرون إلى إنزاله بأبيك الخائن لا يليق بك أن تراه . قل للدوق الذى أنت ذاهب إليه إنه عليه أن يأخذ عدته فى الحال ونحن هنا سنستعد بالمثل ولتكن الرسل بيننا على الخيل سريعة وافية الأخبار . وداعًا ! وداعًا أيتها الأخت

العزيزة ! وداعًا يا لورد جلوستر .

(يدخل أوزولد)

ماذا وراءك ؟ أين الملك ؟

أوزولد : لقد نقله سيدى اللورد جلوستر من هنا وأرسل إثره بسرعة خمسة أو ستة وثلاثين فارسًا من فرسانه الملهوفين عليه قابلوه عند الباب وذهبوا به ويصحبتهم آخرون من أتباع اللورد إلى دوفر حيث يزعمون أن لديهم أصدقاء مدججين بالسلاح .

كورنوول : هيئ الخيل لسيدتك .

جونريل : وداعًا يا سيدى الكريم ويا أختاه .

كورنوول : وداعًا يا إدموند . **(يخرج جونريلا وإدموند وأوزلد)** اذهبوا وفتشوا عن الخائن جلوستر . قيّدوه كاللص وأحضروه أمامنا هنا .

(يخرج خدم آخرون)

قد لا يجوز لنا أن نحكم عليه بالإعدام دون محاكمة رسمية ولكن سلطتنا ستخضع لغضبنا وهذا قد يعيبه الناس علينا ولكنهم لن يستطيعوا له ردًا . من هناك ؟ الخائن ؟ **(يعود الخدم ومعهم جلوستر سجينًا)**

ريجان : إنه هو الثعلب العاق .

كورنوول : أوثقوا ربط ذراعيه الضامرتين .

جلوستر : ماذا تقصدان سموكما . أيها الصديقان الكريمان : تذكران أنكما ضيفان علىّ. لا تخونانى أيها الصديقان .

كـــورنوول : أقول لكم قيدوه . (بقية الخدم)

ريجـــــان : أوثقوا رباطه جيداً . أيها الخائن القذر .

جلوســتــر : لست ذلك أيتها السيدة القاسية .

كـــورنوول : اربطوه إلى هذا الكرسي . يا وغد ، لسوف تجد ...

(تنتف ريجان لحيته)

جلوســتــر : بحق الآلهة الكريمة إنه لمن المزرى حقًّا أن تنتفى لحيتى .

ريجـــــان : لحية شائبة بيضاء ومع ذلك خائن .

جلوســتــر : أيتها السيدة الشريرة . إن تلك الشعيرات التى تنتفيها من ذقنى سوف تدبّ فيها الحياة وتقف منك موقف الاتهام . أنا مضيفك ولا يحق لك أن تعتدى على وجهى بيد اللص هذه . ماذا تنوون أن تصنعوا بى ؟

كـــورنوول : لندخل فى الموضوع يا سيد . ما هى تلك الخطابات التى تسلمتها أخيراً من فرنسا ؟

ريجـــــان : أجب بصراحة فنحن نعرف الحقيقة .

كـــورنوول : وفيم تتواطأ مع أولئك الخونة الذين نزلوا بأرض المملكة مؤخراً ؟

ريجـــــان : والذين سلّمت إلى أيديهم الملك المجنون . تكلم .

جلوســتــر : فى حوزتى خطاب كُتِب بدون معرفة أكيدة . أتانى من شخص قلبه محايد ولم يأتنى من عدو .

كـــورنوول : ماكر

ريجـــــان : وكاذب

كـــورنوول : أين أرسلت الملك ؟

جلوستر : إلى دوفر .

ريجان : ولِمَ إلى دوفر ؟ ألم تؤمر أمرًا صارمًا بأن ...

كورنوول : ولِمَ إلى دوفر ؟ دعه يجيب على هذا السؤال .

جلوستر : لقد رُبِطتَ إلى عمود التعذيب وعليَّ أن أحتمل حتى نهاية الشوط .

ريجان : لم إلى دوفر ؟

جلوستر : لأنى لا أريد أن أرى أظافرك القاسية تقلع عينيه العجوزتين المسكينتين . لا ولا أختك الشرسة تنشب أنيابها التى هى كأنياب الخنزير المتوحش فى جسده المقدس . تلك العاصفة التى احتملها رأسه العارى فى ليلة سوادها من الجحيم لو قدِّر للبحر أن يعانى مثلها لارتفع الخضم حتى أطفأ نيران النجوم الثابتة فى السماء . ومع ذلك فإن المسكين كان ببكائه يعين السماء على المطر . فى ذلك الوقت المرعب لو جاءت الذئاب تعوى على بابك لقلت لمن يحرس بابك : افتح لها الباب أيها البواب الكريم ! فى مثل هذا الظرف تجد الرأفة سبيلاً إلى قلوب أقسى المخلوقات غيرك . ولكنى سأبصرنّ العقاب ينزل بأولاد مثلكما من السماء .

كورنوول : لن تبصرن ذلك أبدًا . يا رجال أمسكوا بالكرسى ولسوف أطأ بقدمى عينيك هاتين .

جلوستر : النجدة يا من تأملون فى البقاء على قيد الحياة حتى الشيخوخة ! ما أقساكم يا ناس ! أيتها الآلهة !

ريجــــان : لن تجعل جانبًا من وجهه يسخر من الجانب الآخر . افقأ العين الأخرى أيضًا .

كـــورنوول : إن أبصرت العقاب ...

الخادم الأول : امسك يدك يا سيدى . لقد خدمتك منذ أن كنتُ طفلاً وليس هناك خدمة أديتها لك حتى الآن خيرًا من طلبى إليك أن تمسك هذه اللحظة .

ريجــــان : ماذا تقول أيها الكلب ؟

خــادم أول : لو كانت لكِ لحية في ذقنك لشددتها لأتحداك للقتال فى هذا النزاع .

ريجــــان : ماذا تقصد ؟

كـــورنوول : أنت مجرد عبد ملكى (يستلان سيفهما ويتقاتلان) .

خــادم أول : طيب . لتخاطر بالقتال وأنت فى ثورة الغضب .

ريجــــان : أعطنى سيفك . فلاح يجرؤ على هذا التحدى ! (تأخذ سيفا وتطعنه من الخلف)

خــادم أول : آه ! لقد قتلت . مولاى . لا زالت لديك عين لترى بها ما يلحق به من أذى . آه ! (يموت)

كـــورنوول : سأمنعها كى لا ترى شيئًا آخر . انطفئى أيتها المادة الهلامية الدنيئة . أين نورك الآن ؟

جلوستــر : ظلام تام بلا سلوى . أين ابنى إدمـوند ؟ يا إدمـوند . أشعل كل شرارة فى حبك الفطرى لأبيك لكى تنتقم لهذه الفعلة الشنيعة .

ريجـــــان : كفّ أيها الوغد الخائن . إنك تدعو من يمقتك . إن ابنك إدموند هو الذى فضح لنا خياناتك وهو أفضل من أن يشفق عليك .

جلوستـر : يا لغباوتى ! لقد وشى بإدجار إذن . أيتها الآلهة الكريمة، اغفرى لى إساءتى ودبّرى له التوفيق .

ريجـــــان : اذهب أنت وألق به خارج الأبواب ودعه يتشمّم طريقه إلى دوفر . (يخرج خادم مع جلوستر) ماذا حدث يا سيدى ؟ كيف حالك ؟

كـورنوول : لقد أُصبت بجرح . رافقينى يا سيدتى . اطردوا ذلك الوغد عديم العينين وارموا بهذا العبد على كومة القاذورات . إن دمى ينزف بسرعة يا ريجان . لقد جاءنى هذا الجرح فى غير الأوان . أعطينى ذراعك

(يخرج كورنوول تقوده ريجان)

خـادم ثان : إن كان قال هذا الرجل حسنًا فلن أُبَالى مطلقًا بأى شر ارتكبه .

خـادم ثالث : إن كُتب لها طول العمر وماتت فى النهاية ميتة طبيعية انقلبت جميع النساء إلى وحوش .

خـادم ثان : لنتبع الإيرل العجوز ولنجعل المجنوب يقوده إلى حيث يريد الذهاب فلأنه متسول معتوه لن يكون عليه أى حرج.

خـادم ثالث : اذهب أنت . أما أنا فسأحضر كتّانًا وبعض بياض البيض لأضمد جراح وجهه الدامى . أعانته السماء .

(يخرجان ، كل من ناحية)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(الفلاة)

(يدخل إدجار)

إدجـــــــار : خير أن أكون هكذا محتقرًا علنًا من أن يحتقرني الناس في السر ويتملقون في الجهر ، فهذا هو أسوأ ما يمكن . إن أحط مخلوق يذلّه الدهر لا يعدم الأمل ولا يعيش خائفًا من أن حاله قد ينقلب إلى ما هو أسوأ . لابد للضراء حين تبلغ منتهاها أن تتحول إلى السراء . مرحبًا إذن أيها الهواء الأثيرى الذى أحتضنه . ذلك البائس الذى دفعت به إلى أسوأ حال لا يخشى شيئًا من عواصفك . لكن من القادم هنا ؟

(يدخل جلوستر يقوده رجل عجوز)

أبي يقوده رجل كالمساكين. إيه يا دنيا ، يا دنيا ، يا دنيا! لولا ما فيك من تقلبات وصروف غريبة تجعلنا نكرهك لما أذعنت الحياة للشيخوخة ورضينا بالموت .

الرجل العجوز : سيدى الكريم . لقد كنتُ من فلاحيك وفلاحى أبيك هذه الأعوام الثمانين .

جلوستر : ابعد عنى يا صديقى. ابعد عنى. إن مواساتك لا تفيدنى فى شىء وقد تسبب لك ضرراً .

الرجل : ولكنك ليس بمقدورك أن ترى طريقك .

جلوستر : لا طريق أمامى . ولذا فلست بحاجة إلى عينين . حينما كنت مبصراً تعثرت ولم أر ما أراه الآن وأنا أعمى . ما أكثر ما نرى كفايتنا تدفعنا إلى الاستهتار والغرور وحرماننا قد يكون فيه خير لنا فى نهاية الأمر . آه يا إدجار يا ولدى العزيز ، يا من يقتات به غضب أبيه المخدوع . لو قدّر لى أن أعيش حتى أراك باللمس لقلت عاد لى بصرى .

الرجل : ماذا ؟ من هناك ؟

إدجار : (لنفسه) أيتها الآلهة . من ذا الذى يستطيع أن يقول فى أى وقت إن حاله أسوأ ما يمكن أن يكون ؟ إن حالى الآن أسوأ من أى وقت مضى .

الرجل : إنه المسكين توما المجنون .

إدجار : (لنفسه) وقد أصبح أسوأ مما أنا عليه فيما بعد . إن الأسوأ لا يوجد أبداً طالما يكون بمقدورنا أن نقول هذا هو الأسوأ .

الرجل : أين أنت ذاهب يا غلام ؟

جلوستر : أهو شحاذ ؟

الــــرجـــــل : شحاذ ومجنون معًا .

جلوســتــر : لابد أن تبقى له ذرة من العقل وإلا فما استطاع أن يشحذ . لقد رأيت رجلاً مثله أثناء العاصفة ليلة أمس — رجلاً جعلنى أشعر بأن الإنسان ليس إلا دودة حقيرة . حينئذ تراءت فى ذهنى صورة ولدى وإن كان ذهنى لايزال خلوا من مشاعر المحبة إزاءه . لقد عرفت الكثير بعد ذلك . نحن فى أيدى الآلهة كالذباب فى أيدى صبية طائشين : يقتلوننا لمجرد التسلية .

إدجـــــــار : **(لنفسه)** كيف حدث ذلك ؟ بئست تلك المهنة التى تضطر المرء إلى أن يتنكر ويقوم بدور البهلول بإزاء من يتعذب فيغضب نفسه والغير . **(بصوت مرتفع)** باركتك الآلهة يا سيدى !

جلوســتــر : أهذا هو الغلام العريان ؟

الرجل العجوز : نعم يا سيدى .

جلوســتــر : أرجوك أنت أن تذهب إذن . إن كان بمقدورك من أجلى أن تلحق بنا على بعد ميل أو ميلين من هنا على طريق دوفر فافعل باسم ولائك القديم وأحضر معك شيئًا يغطى هذا الغلام العريان الذى سأتوسل إليه أن يقودنى .

الــــرجـــــل : وآأسفاه يا سيدى . إنه مجنون .

جلوســتــر : هذا وباء الزمان حين يقود العُمْىَ المجانين . افعل كما طلبت إليك أو الأحرى افعل ما يحلو لك . وأهم من كل ذلك اذهب .

الـــرجـــل : سأحضر له أحسن ما لدىّ من ثياب. وليحدث ما يحدث. (يخرج)

جلوسـتــر : يا ولد ! أيها الغلام العارى . .

إدجـــــار : توما المسكين بردان (لنفسه) ليس بمقدورى أن أواصل هذا التمثيل !

جلوسـتــر : تعال هنا يا غلام .

إدجـــــار : ومع ذلك فأنا مضطر إليه . رحمة الآلهة على عينيك الحبيبتين : إنهما تنزفان دماً .

جلوسـتــر : أتعرف الطريق إلى دوفر ؟

إدجـــــار : كل شبر فيه . كل سور وبوابة ، كل طريق سواء للخيل أو للمارة . توما المسكين طار صوابه من الذعر . وَقَتْكَ الآلهة من إبليس اللعين يا ابن الرجل الطيب . لقد لبس توما المسكينَ خمسة من الجن فى نفس الوقت : عفريت الشهوة أُوبيدِكَتْ(٢٦) وأمير الخُرس هُوبرديرانس وعفريت السرقة مَاهُو وعفريت القتل مُوبُو وعفريت التشدّق ولَوى الفم فِلِبَرْتجِبِتْ وهو العفريت الذى حلّ بعد ذلك فى الوصيفات والخادمات . وَقَتْكَ الآلهة منهم يا بسيدى .

جلوسـتــر : ها هو ذا كيس نقودى . خذه أنت يا من أنزلت السماء عليه من البلايا ما أذلّه بحيث عاد يتقبل كل ضربات الدهر بخضوع. لعل بؤسى يكون مصدراً لبعض الخير لك. أيتها السماوات : استمرى فى هذا السبيل : اجعلى المدللين المتخمين الذين يشبعون كل شهواتهم ويخضعون

أوامـرك لرغـبـاتهم – الذين هم عـديمو البـصـر لكونـهم عـديمي الإحـسـاس – اجـعلـيـهم يشـعـرون بجـبـروتك فى الحـال ، وبذلك تقضـى القسـمـة العـادلة علـى كل إسراف ويصبح لدى كل إنسان ما يكفيه . أتعرف دوفر ؟

إيجـــــار : نعم يا سيدى .

جلوسـتـر : هناك صخرة هامتها شاهقة ناتئة تطلُّ رهيبة إلى أسفل على البحر العميق الذى تحدُّه الصخور . خذنى إلى آخر حافتها وأنا أعوِّضك عما تحتمله من بؤس بشىء نفيس معى . وبعدها لن أحتاج إلى من يقودنى .

إيجـــــار : أعطنى ذراعك . توما المسكين سيكون دليلك .

المشهد الثانى

(أمام قصر دوق أولبانى)

(تدخل جونريل وإدموند)

جونريل : مرحبا بك فى قصرنا يا سيدى . عجيب أن زوجنا رقيق الحاشية لم يخرج للقائنا .

(يدخل أوزولد)

إيه ؟ أين سيدك ؟

أوزولد : بالداخل يا سيدتى . لم يتغيّر أحد بقدر ما تغير . لقد أخبرته بأن الجيش الفرنسى قد نزل بأرض الوطن فابتسم . قلت له إنك قادمة فكان جوابه «للأسف» . ولما حكيت له عن خيانة جلوستر والخدمة الجليلة التى أداها ابنه بفضل ولائه قال إنى أبله وإنى أسأت الفهم كلية . إنه يستحسن ما كان ينبغى له أن يستهجنه ويستهجن ما كان عليه أن يستحسنه .

جـــونـريل : (إلى إدموند) إذن لا تتقدم خطوة واحدة صوب البيت .
إن مـا يغشـى روحـه من الفزع والجبن يجعله لا يجسـر علـى المخاطـرة . فكل إهانة تسـتـوجـب الرد يشـاء ألا يلحظها. لعلنا نستطيع أن نحقق أمانينا التي أفصحنا عنها ونحن في طريقنا إلى هنا . عُدْ يا إدموند إلى زوج أختي واجعله يسرع في التعبئة وقُدّ قواته . أما أنا هنا فعلّي أنا وزوجي أن نتبادل الدور فأحمل أنا السيف وأضع المغـزل في يده . هذا الخـادم الأمين سـيكون رسـولنا وعن قـريب قـد تسـمع مني أوامـر امـرأة هي سيدتك ومعشوقتك معًا - هذا إن كنت تجرؤ على أن تخاطر لصالحك . خـذ هذا لترتديه **(تعطيه وسامًا)** .
لا داعي للكلام . اخفض رأسك . هذه القبلة لو أمكنها أن تنطق لرفعت روحك حتى تنتصب في السماء . أتفهم ما أعني ؟ وداعًا .

إدمـــونـد : أنا عبدك حتى الموت .

جـــونـريل : يا حبيبي جلوستر ! **(يخرج إدموند)** . آه ! ما أعظم الفارق بين الرجل والرجل . أنت الجدير حقًا بخدمات امرأة بينما الذي استولى على جسدي ليس إلا أبله .

أوزوالـــــد : سيدتي . سيدي قادم . **(يخرج)** .

(يدخل أولباني)

جـــونـريل : كنتُ في نظرك أساوي شيئًا كثيرًا ذات يوم فتهرع للقائي .

أولبـــــانى : أنت يا جونريل لا تساوين ذلك التراب الذى تذروه عصفة الريح فى وجهك . إن مزاجك ليثير فى نفسى المخاوف ، فالطبع الذى يحتقر أصله لا يؤتمن على مراعاة حدوده . والمرأة التى تشاء أن تنزع نفسها وتجز غصنها عن الساق التى تمدها بعصارة غذائها لابد أن تذوى ويكون مصيرها الهلاك وقودا .

جــــونريل : كفى كفى . كلامك سخيف .

أولبـــــانى : فى عين الرذيل تبدو الحكمة والخبرة من الرذائل. القذارة لا تتذوق غير القذارة . ماذا جنته يداك ؟ ماذا فعلتما أيتها النمرتان فأنتما لستا بابنتين . أب ورجل طاعن فى السن وقور . لو رآه دبٌ جُرٌ من رأسه لاستأنسه ما عليه من مهابة. قد دفعتماه إلى الجنون بسلوك همجيٍ سافل. أمن الممكن أن يكون صهرى الكريم قد سمح لكما بأن تصنعا ذلك ، وهو الرجل والأمير الذى أفاد منه كل الفائدة . إن لم ترسل السماوات حثيثا أرواحها مرئية لتعاقبكما على هذه الجرائم الوحشية فما من شك فى أن العقاب قادم لا محالة وسيفترس البشر بعضهم بعضًا كما تفعل وحوش المحيط .

جــــونريل : أيها الرجل الجبان . جعلتَ خدك للصفع ورأسك لتلقى الإهانات . ليس فى وجهك عين تميز بين ما يمسُ شرفك وما لا يمسّه . ألا تعلم أن الحمقى وحدهم هم الذين يشفقون على الأشقياء حين يعاقبون قبل أن يتمكنوا من

إلحاق الضرر . لِمَ أنت لم تدق طبول الحرب ؟ ملك فرنسا ينشر ألويته فى بلادنا الصامتة ويخوذته ذات الريش أخذ يهدد دولتك ، بينما أنت بوعظك الأحمق قاعد هنا لا تحرك ساكنًا وتصرخ واأسفاه لِمَ فعل ذلك ؟

أولبانى : حاولى أن تبصرى نفسك على حقيقتها أيتها الشيطانة . إن هذا المسخ والتشويه اللائق بالشيطان يبدو فى أبشع صورة حينما يظهر فى شخص امرأة .

جونريل : يا أحمق . يا مغرور !

أولبانى : أنت مخلوقة مسخت نفسها واتخذت مظهراً غريباً عليها. استحيى ولا تجعلى مظهرك على هذه البشاعة . لو كنتُ أرى من اللائق أن أسمح ليدى بأن تطيع مشاعرى لخلعت عظمك فى الحال ولمزقت لحمك . ولكن مهما كنتِ من شيطانة لازال لك شكل المرأة الذى يحميك .

جونريل : يا سلام على رجولتك ! **(تموء كالقطة موحية بأنه مخنث)**

(يدخل رسول)

أولبانى : ما أخبارك ؟

رسول : سيدى الكريم . لقد مات دوق كورنوول مقتولاً بيد خادمه بينما كان يحاول أن يفقأ عين جلوستر الثانية .

أولبانى : عين جلوستر ؟

رسول : نعم . خادم قد رباه هو . دفعته الرأفة فاعترض على فعلته وشهر سيفه فى وجه سيده النبيل فثارت ثائرة الدوق وهجم عليه وتكاثر رجاله عليه حتى أردوه قتيلاً .

ولكن الدوق فى أثناء ذلك أصابته طعنة نجلاء أطاحت به بعدئذ .

أولبـــــانى : هذا يدل على أنك لا تزالين فى السماء فوقنا أيتها الآلهة العادلة وأنت تقتصين بسرعة من جرائمنا الدنيوية هذه . ولكن مسكين يا جلوستر . أفقد عينه الأخرى ؟

رســــــول : كلتيهما . كلتيهما يا سيدى . هذا الخطاب يا سيدتى يستوجب رداً عاجلاً . إنه من أختك . **(يقدم لها خطاباً)**

جـــونـريل : **(لنفسها)** هذا الخبر يسرنى من ناحية وإن كان كونها أرملة ومعها حبيبى جلوستر قد يقوّض تلك الآمال التى شيدتها شاهقة كالقلاع فتهوى على حياتى المقيتة . ولكن من ناحية أخرى ليس هذا بالخبر الأليم. **(بصوت مرتفع)** سأقرأه وأجيب عنه **(تخرج)**

أولبـــــانى : أين كان ابنه حين فقأوا عينيه ؟

رســــــول : كان مع سيدتى فى طريقه إلى هنا .

أولبـــــانى : إنه ليس هنا .

رســــــول : لا يا سيدى الكريم . لقد قابلته عائداً أدراجه .

أولبـــــانى : أهو على علم بهذا الحدث الشنيع ؟

رســــــول : نعم يا سيدى الكريم . إنه هو الذى وشى به . ولقد غادر البيت عن قصد لكى يتسنى لهم أن يوقعوا عليه عقابهم كما يحلو لهم .

أولبـــــانى : سأعيش يا جلوستر حتى يمكننى أن أشكرك على ما أظهرت من الحب والولاء للملك وأن أنتقم لعينيك . تعال هنا أيها الصديق . أخبرنى بالمزيد مما تعلم .

المشهد الثالث

(المعسكر الفرنسي بالقرب من دوفر)

(يدخل كنِت وسيد)

كِـــنـــت : أتعرف لماذا عاد ملك فرنسا فجأة إلى بلده ؟

ســـيـــد : شيء غفل عن إتمامه في أمور الدولة تذكره بعد مجيئه إلى هنا . شيء قد يعرض الدولة للكثير من الخطر والخوف، فكانت عودته شخصياً أمراً ضرورياً ولابدّ منه.

كِـــنـــت : ومن خلّف وراءه ليقود الجيش ؟

ســـيـــد : مشير فرنسا مسيو لافار .

كِـــنـــت : هل أثّرت خطاباتك في الملكة فظهر عليها أي من أمارات الحزن ؟

ســـيـــد : نعم يا سيدي . لقد تسلمتها وقرأتها في حضرتي ومن وقت لآخر كانت دمعة فائضة تنحدر على وجنتها الأسيلة: لقد بدت ملكة متملكة مشاعرها التي أرادت في ثورتها أن تسيطر عليها .

كـــنـــت : إذن أثارتها الخطابات ؟

ســـيـــد : نعم ولكنهـا لم تكن فى ثورة غـضب . كـان صـبـرها وحزنها يتصارعان على أيهما يُظهرها فى أبدع مظهر . كـأنك ترى الشـمس سـاطعـة والسـمـاء تمطر فى نفس اللحظة . هكذا كانت ابتسامتها ودموعها . وإن كانت أبهي منظراً . تلك الابتسـامات الضئيلة السعيدة التى رفّت على شفتيها بدت وكأنها لا تعلم أى الضيوف حلّت فى عينيها ثم رحلت عنهما كما لو كان اللؤلؤ يتساقط من الماس . وبالإجمال لو كان الألم يليق بغيرها بهذا الشكل لصار شيئًا نادراً تعشقه الناس .

كـــنـــت : ألم تتفوه بكلام ؟

ســـيـــد : فى الواقع إنها مرة أو مرتين حاولت بصعوبة أن تنطق كلمة «أبى» مبهورة النفس كما لو كان قلبها ينوء تحت عبئها ثم صاحت : أختىّ أختىّ يا عار السيدات . كنت . أبى . أختىّ ماذا ؟ فى العاصفة ! أثناء الليل ! لقد انعدمت الشفقة ! حينئذ تفجر الماء المقدس من عينيها السماويتين . وبعد أن هدأت الدموع صخب مشاعرها انسحبت لتعالج الحزن وحدها .

كـــنـــت : إنها النجوم ، النجوم التى فوقنا تتحكم فى طبائعنا ، وإلا ما استطاع نفس الزوج والزوجة أن ينجبا ذرية تختلف هذا الاختلاف . ألم تتكلم معها بعد ذلك ؟

ســـيـــد : لا

كـــنـــت : هل كان ذلك قبل عودة الملك ؟

ســـيـــد : لا بعدها .

كـــنـــت : حسن يا سيدى. إن لير المسكين فى غاية الكرب فى البلد. وهو أحيانًا عندما يقلّ اضطراب ذهنه يتذكر لِمَ أتينا إلى هنا . ولكنه لا يوافق مطلقًا على أن يرى ابنته .

ســـيـــد : ولماذا يا سيدى الكريم ؟

كـــنـــت : يمنعه إحساس جارف بالخجل . إن قسوته التى جرفتها من رضاه وبركاته وألقت بها إلى صروف حياة الغربة ووهبت حقوقها الغالية لبنتيه الشرستين – هذه الخواطر السامة تلسع نفسه بحيث إن خجله الحارق يحول دون رؤيته لكورديليا .

ســـيـــد : وا أسفاه السيد المسكين !

كـــنـــت : ألم تسمع شيئًا عن قوات أولبانى وكورنوول ؟

ســـيـــد : سمعت أنها فى طريقها إلى هنا .

كـــنـــت : حسن يا سيدى . سآخذك إلى مولانا لير وأتركك معه لتعنى به . عندى أمر مهم يضطرنى إلى التخفى بعض الوقت . وحينما أُعرف على حقيقتى لن تسوءك معرفتك لى . أرجوك أن تأتى معى .

(يخرجان)

المشهد الرابع

(نفس المكان)

(تدخل كورديليا وطبيب وجند بالطبل والرايات)

كـورديليـا : واحسرتاه! إنه هـو - لقد وجده بعضهم الآن فقط هائجاً مثل البحر المضطرب يغنّي بصوت عال وعلى رأسه إكليل من الأعشاب والحشائش التى تنمو بغزارة فى الحقول المحروثة ، من الحُماص والشوكران والقراص وزهر المجاذيب والزوال وغيرها من أعشاب لا نفع فيها تنمو فى حقول القمح الذى يقيم أود الحياة . أرسلوا تجريدة من الجند لتفتيش كل فدان من الحقول الكثيفة الزرع وتأتى به إلينا فنراه (يخرج ضابط) ما الذى يستطيع أن يصنعه له الطب وعلم الإنسان وحكمته لكى يعيد إليه صوابه المفقود ؟ إن من يشفيه له كل ما أملك .

طبيب : هناك طرق يا مولاتى . إن الراحة هى حاضنة الطبيعة وهى ماهو فى مسيس الحاجة إليه . وهناك عدة عقاقير وظيفتها أن تشجعه على الراحة ومن أثرها أنها تغمض عين الألم .

كورديليا : أيتها الأسرار المباركة جميعًا ، أيتها العقاقير المفيدة المجهولة على ظهر الأرض ، استجيبى لدموعى وساعدى على شفاء الرجل الكريم من عذابه . فتش يا طبيب . فتش لأجله وإلا قضى جنونه الجامح على حياته التى يعوزها الآن العقل الذى هو وسيلة البقاء .

(يدخل رسول)

رسول : لدىّ أخبار يا مولاتى : القوات البريطانية تزحف علينا .

كورديليا : سبق أن سمعنا هذه الأخبار ولقد أخذنا عدتنا لانتظارهم . آه يا أبى العزيز . إن قضيتك هى وحدها التى أسعى لنصرها . إذ أشفق ملك فرنسا العظيم على حزنى وتوسلات دموعى . ليس الدافع الذى يدفع جيشنا هو الطمع أو الطموح المنفوخ بل هو المحبة ، المحبة الخالصة وحق أبى العجوز . لعلنى أراه وأسمعه عن قريب .

(يخرجون)

المشهد الخامس

(غرفة فى قلعة جلوستر)

(تدخل ريجان وأوزوالد)

ريجـــان : ولكن هل بدأت قوات زوج أختي زحفها ؟

أوزوالـــد : نعم يا مولاتى .

ريجـــان : وهل هو نفسه على رأسها ؟

أوزوالـــد : نعم يا مولاتى بعد لأى شديد . إن أختك لا زوجها هى الجندى الباسل .

ريجـــان : ألم يتحدث لورد إدموند إلى سيدك عندكم ؟

أوزوالـــد : لا يا مولاتى .

ريجـــان : وما فحوى خطاب أختى له ؟

أوزوالـــد : لا أعرف يا سيدتى .

ريجـــان : لابد أنها أرسلته فى مهمة خطيرة . لقد كان من الحمق الشديد أن يسمح لجلوستر أن يظل على قيد الحياة وهو مفقوء العينين هكذا . فهو أينما حلّ يثير علينا عواطف

الناس جميعًا . أظن أن إدموند قد ذهب للقضاء على حياته المظلمة رأفة به ! - هذا بالإضافة إلى التعرف على مدى قوة العدو .

أوزوالـــــد : لابد لي أن ألحق به يا مولاتي لأسلمه هذا الخطاب .

ريجـــــان : إن جيشنا يبدأ زحفه غداً فانتظر معنا . كما أن الطرق محفوفة بالخطر .

أوزوالـــــد : لا يجوز لي يا مولاتي . إن سيدتي أمرتني أمراً صارماً أن أنفذ تعليماتها بحذافيرها .

ريجـــــان : ولِمَ أرادت أن تكتب إلى إدموند ؟ ألم يكن من الممكن أن تنقل كلامها له شفاهة ؟ لعل هناك أشياء لا أعرفها . دعني أفض خاتم الخطاب وأنا أكافئك بسخاء .

أوزوالـــــد : مولاتي ، خير لي أن ...

ريجـــــان : أنا أعرف أن سيدتك لا تحب زوجها ، بل أنا متأكدة من ذلك . وفي زيارتها الأخيرة هنا كانت تضفي على النبيل إدموند نظرات غرام واضحة الدلالة . أنا أعرف أنها تثق فيك .

أوزوالـــــد : أنا يا مولاتي ؟

ريجـــــان : إني مدركة تماماً لما أقول . أنا أعلم أنك محط سرها ولذا أنصحك بأن تصغي جيداً لما أقول . إن زوجي قد مات ولقد تم التفاهم بيني وبين إدموند ، وزواجه مني أنسب من ارتباطه بها . ولك أن تستنتج أكثر من تلميحاتي . إذا وجدته أرجوك أن تعطيه هذا . وعندما

تبلغ سيدتك ما قلته لك أرجوك أن تطلب منها أن تعقل ولا تفقد صوابها . وداعاً . وإذا صادف أن سمعت شيئاً عن ذلك الخائن الأعمى تذكر أن الترقية هى جزاء من يقتصفه .

أوزوالـــــد : بودى أن أتمكن من لقائه يا مولاتى . حينئذ أُثبت لك أى حزب أنتمى إليه . وداعاً .

(يخرجان)

المشهد السادس

(الريف بالقرب من دوفر)

(يدخل جلوستر وإدجار مرتديا زىّ الفلاحين)

جلوستر : ومتى سأصل إلى قمة ذلك الجبل ؟

إدجار : لقد وصلنا . إنك تصعده الآن . ألا ترى ما نبذله من جهد ؟

جلوستر : يخيل لى أن الأرض مستوية هنا .

إدجار : إن انحدارها فظيع . انصت . ألا تسمع البحر ؟

جلوستر : حقًا لا .

إدجار : لقد أثّر ألم عينيك فى حواسك الأخرى فأضعفها .

جلوستر : هذا جائز حقًا . يبدو لى أن صوتك قد تغير وأن كلامك الآن قد تحسّن لفظًا ومعنى .

إدجار : لكم أنت مخدوع. إننى لم أتغير فى شىء سوى ملبسى .

جلوستر : يبدو لى أن لهجتك وأسلوبك فى الكلام أحسن من ذى قبل .

إدجـــــار : كفى صعوداً يا سيدى . ها هو المكان . قف . إن النظر إلى أسـفل من هذا العلو الشـاهق يصـيب المرء بالرعب والدوار . الغـربان والزيغـان التى تطيـر فى الهـواء فى منتصف المسافة بيننا وبين الأرض تبدو من هنا ولا يكاد حجمها يعدو حجم الخنافس . وفى منتصف الجبل يتدلى رجل من الصـخور يجـمع عشب الشـمار - مـا أفظعـها حـرفـة - وهـو من هنا يبـدو فى حـجـم رأسـه ... أمـا الصـيادون الذين يسـيرون على الشـاطئ فـيظـهرون فى حجم الفئران . وهناك سفينة شامخة راسية لا تبدو أكبر من أحد قواربها . ولا يزيد قاربها على حجم الشمندورة فلا تكاد تبصره العين . ولغط البحر المتلاطم وهو يصب غضبه على حصى الشاطئ العقيم الذى لا يحصره العد لا يسمع من هذا الارتفاع الشاهق . لن أنظر أطول من ذلك مخافة أن يدور رأسى ويختل بصرى فأسقط من علٍ فى الهاوية .

جلوســتـر : خذنى إلى حيث تقف .

إدجـــــار : هات يدك . أنت الآن على بعد قـدم من حـافة الهـاوية . لو أعطيتنى كل ما تحت القمر من كنوز الدنيا لما رضيت أن أقفز إلى أعلى وأنا فى مكانى هنا خشية السقوط .

جلوســتـر : اترك يدى . هذا كيس نقـود آخـر لك يا صـديقى وفـيـه جوهرة جديرة بأن يأخذها رجل فقير . ولتبارك لك الآلهة

والجنيات فيها وهى فى حوزتك . ابعد عنى الآن .. ودّعنى ودعنى أسمع خطواتك تبتعد عنى .

إدجـــــار : وداعًا يا سيدى الكريم .

جلوستـــر : وداعًا من صميم قلبى .

إدجـــــار : (لنفسه) لست أعبث هكذا بيأسه إلا لكى أداويه .

جلوستـــر : (راكعًا) اشهدى أيتها الآلهة القديرة . هأنذا أهجر هذه الدنيا وبمرأى منك أنفض عنى راضيًا عذابى الأكبر وبلواى . لو كان بمقدورى أن أتحملها أطول من ذلك دون أن أثور على إرادتك التى لا تقاوم لانطفأت بقية ذبالتى والعنصر المقيت من حياتى دون عون منى . إن كان إدجار لا يزال على قيد الحياة باركيه أيتها الآلهة . والآن يا غلام وداعًا .

إدجـــــار : لقد ذهبتُ يا سيدى . وداعًا **(يلقى جلوستر بنفسه إلى الأمام فيقع على الأرض)** ومع ذلك فلا أدرى كيف يمكن للوهم أن يسرق خزانة الحياة حينما تستسلم له الحياة ذاتها . لو كان فعلاً حيث ظن أنه كان ليقضى عليه بإلصار الآن حيث لا يمكنه الظن . **(يغيّر صوته)** أحىّ أنت أم ميت ؟ إيه يا سيدى يا صديقى . اسمعنى يا سيدى . تكلم . ربما مات حقًا هكذا . لا إنه يفيق . من أنت يا سيدى ؟

جلوستـــر : اغرب عن وجهى ودعنى أموت .

إدجـــــار : لو كنت شيئًا غير خيوط العنكبوت أو ريشة أو هواء

وسقطت كل هذه القامات العديدة لتهشمت كبيضة .
ولكنك تتنفس ولك جسد ذو ثقل ولا تنزف دمًا بل تنطق
ولم تُصَبْ بسوء . لو وُضعت عشرة صوار أحدها فوق
الآخر لما بلغت ذلك الارتفاع الذى سقطت منه رأسيًا إن
كونك لا تزال حيًا هو معجزة . تكلم مرة أخرى .

جلوستر : ولكن قل لى هل أنا سقطت أم لا ؟

إدجار : سقطت من القمة المرعبة لتلك الصخور البيضاء التى تحد البحر . انظر إلى أعلى . إن العصفور ذا الصفير الحاد لا يُسمع ولا يُرى من مثل ذلك العلو . انظر إلى أعلى .

جلوستر : وا أسفاه . ليس لى عينان . هل حُرِم بؤسى فرصة القضاء على ذاته بالموت ؟ لقد كان لا يزال هناك بعض العزاء عندما كان يمكن للشقاء أن يخدع غضب الجبّار ويحبط إرادته العاتية .

إدجار : هات ذراعك . انهض على قدميك هكذا . كيف أنت ؟ أتشعر برجليك ؟ إنك تستطيع الوقوف .

جلوستر : أحسنَ مما ينبغى . أحسن مما ينبغى .

إدجار : إن هذا أعجب من العجب . ما هو ذلك الشىء الذى افترق عنك على رأس ذلك الجبل ؟

جلوستر : شحاذ مسكين سيئ الحظ .

إدجار : رأيته وأنا جالس هنا . عيناه تضيئان مثل بدرين . وكأنه له ألف منخار وقرون متداخلة ملتوية كقرون الأيل

ومتموجة مثل البحر الذى مخرته السفن . لقد كان شيطانًا من الشياطين بلا شك . لذلك أيها الشيخ السعيد الحظ ثق أن ما حفظك سوى الآلهة البصيرة التي تكتسب مجداً بفعلها ما يستحيل على البشر .

جلوستر : إننى أتذكر الآن. ومن الآن فصاعداً سأصبر على البلوى حتى تصيح ذاتها «كَفَى كفى» وتموت . هذا الشىء الذى تذكره ظننته آدميًا . وكان يصيح مراراً : إبليس إبليس ، إنه هو الذى قادنى إلى ذلك المكان .

إدجار : لتكن صبوراً وليهدأ بالك . ولكن من القادم هنا ؟

(يدخل لير مرتديًا ثيابًا عجيبة ومتزينًا بالأزهار البرية)

ما من إنسان بسليم العقل يرتدى مثل هذه الثياب .

لير : لا . لن يجوز لهم أن يتهمونى بتهمة تزييف النقود . أنا الملك نفسه .

إدجار : يا له من منظر ينفطر له القلب .

لير : (٣١) في هذا الصدد الطبيعة تفوق الصنعة . هاكم أجوركم أيها الجنود . هذا الغلام يمسك قوسه كما لو كان خيال ظل. شدّ لى قوسك بطول ياردة من القماش. انظر . انظر . فأر . صه . لا صوت . قطعة الجبن المشوى هذه تفي بالغرض . هذا قفازى أقذفه تحدياً لك حتى ولو كنت مارداً . هاتوا البلّط السمراء . السهم مرق على نحو رائع أصاب الهدف . أصاب الهدف **(يقلّد صوت السهم المنطلق)** قل كلمة السر .

إنجـــــار : عطر الصعتر .

لـيـــــر : مُرٌّ .

إنجـــــار : إني أعرف هذا الصوت .

لـيـــــر : آه يا جونريل . أهكذا تصنعين بلحية بيضاء ؟ إنهم تملقوني كما لو كنت كلبًا ، وقالوا لي إن الشيب قد دبَّ في لحيتي قبل أن تكون لي لحية . ووافقوني على كل نَعَم ولا أقولها . وذلك غير ما ينص عليه الدين . ولكن عندما بللّني المطر مرة وجعلت الريح أسناني تصطك وعندما رفض الرعد أن يصمت بناء على أمري – عندئذ كشفتهم وعرفتهم من رائحتهم . لا إنهم ليسوا صادقين . قالوا لي إنني كل شيء وهذه محض أكذوبة فلست محصّنا ضد الحمّى .

جلوستـــر : نبرة هذا الصوت أعرفها جيد المعرفة . أليس هو صوت الملك ؟

لـيـــــر : أي نعم هو الملك عينه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. ألا ترى أن الرعية ترتعد حينما أحدّق بطرفي . أنا أعفو عن هذا الرجل. ماذا كانت جريرته ؟ الزنا؟ لا لن تموت. أيموت المرء بسبب الزنا ؟ كلا . إن صغار العصافير تفعلها والذباب المذهّب الجناح الضئيل يفسق أمام ناظري . ليزدهر الجماع . فابن جلوستر غير الشرعي كان أبرَّ بوالده من بنتيَّ اللتين ولدتا في الفراش الحلال . هلم إذن يا شهوات الجسد . انشطي ما تستطيعين

وبدون تمييز . تناسلوا وتكاثروا يا قوم لأننى بحاجة إلى الجنود . انظر إلى تلك السيدة التى تتكلف الابتسام . وجهها بين غدائر شعرها المصففة يوحى ببرودة الثلج . تتصنع الفضيلة والحياء وتهز رأسها استنكاراً حين يذكر لفظ اللذة أمامها . لا العاهرة ولا الفحل الشبق من شدة العلف يفعلها بشهوة تضاهى شهوتها حدّة وصخبًا . المرأة سنطور – ذلك الكائن الأسطورى الذى نصفه الأعلى آدمى ونصفه الأسفل حصان . إنهن أسفل خصورهن حيوانات وإن كنّ نساء صرفا أعلى الخصر . فوق الحزام تسودهن الآلهة ، أما تحته فكله للشيطان وفيه الجحيم والظلام وحفرة جهنم الحارقة السامطة تفوح برائحة النتن والعفن والفساد . أفٍّ . أف . أف تبًا لهن . أعطنى أوقية من عطر الزّباد أيها العطّار الكريم ألطّف بها مخيلتى وهذه نقود لك .

جلوستر : آه . دعنى أقبل هذه اليد .

ليـر : انتظر حتى أمسحها . إن فيها رائحة الفناء .

جلوستر : يا قطعة من خير ما أبدعت الطبيعة تهدّمتْ . ليَبْلَى هذا الكون العظيم حتى يصير عدماً . أتعرفنى ؟

ليـر : أنا أذكر عينيك جيداً . أتغمز لى ؟ لا . مهما فعلت يا كيوبيد الضرير فلن أعشق(٣٢) . اقرأ كلمة التحدى هذه وتأمل خطها .

جلوستر : لا أستطيع الرؤية حتى ولو كانت جميع حروفك شموساً.

إدجـــــــار : (لنفسـه) لو حكى لى أحد مـا يجـرى هنا لما صـدقتـه . ولكن الواقع الذى ينفطر له فؤادى .

ليـــــــر : اقرأ .

جلوسـتـر : بمَ ؟ بمحجر العينين ؟

ليـــــــر : آه فـهمت . أهذا مـا تقصـد ؟ أنه مـا فـى رأسـك عينـان ولا فى كيسك مـال . إن كيسك خفيف الوزن بينما ثقلت مصيبة عينيك. ومع ذلك فأنت ترى كيف تدور هذه الدنيا.

جلوسـتـر : أراه بمشاعرى .

ليـــــــر : مـاذا تقول ؟ هل جننت ؟ إن المرء يستطيع أن يرى كيف تدور الدنيا بدون عينين . انظر بأذنيك لترى كيف يؤنب ذلك القـاضى الجالس هناك ذلك اللص الحقيـر . أنصت إلى كلمة فى أذنك . دع كلا منهمـا يحتل مكان الآخـر . والآن حزّر فزّر : من منهمـا القـاضى ومن اللص ؟ أرأيت كلب المزرعة ينبح على شحاذ ؟

جلوسـتـر : نعم يا مولاى .

ليـــــــر : والرجل يهرب من الكلب ؟ فـى ذلك ترى صـورة كـبرى للسلطة . إن الكلب يطاع وهو يشـغل منصبًا ذا سلطة . أيهـا الشـرطى الوغد ، ارفع يدك الدموية . لمَ تجلد تلك البـغىّ ؟ اجلد ظهـرك أنت . إنك لتـتـحـرق رغبـة فى أن تفـعل معهـا مـا أنت تجلدها من أجله . القـاضى المرائى يشنق المحتـال الصـغيـر . إن الصـغائر تبرز من خـلال الأسمـال البالية بينمـا الكبـائر تخفـيهـا عديد الثيـاب

والفراء. غلّف الخطيئة بطلاء من الذهب تتكسر عليها رماح العدالة الصلبة دون أن تمسّها بسوء . ولكنها إن احتمت بالأسمال خرقتها قشّة في يد قزم. لا أحد يذنب. أقول لا أحد . على مسئوليتي خذها عني يا صديقي ، أنا الذي بمقدوري أن أغلق فم من يتّهم . رُحْ واجلب لنفسك عينين زجاجيتين وتظاهر بأنك ترى مالا ترى كما يفعل السياسي النصاب . آه . آه . آه . اخلع حذائي . بشدة بشدة هكذا .

إدجـــار : (لنفسه) ما أشد ما تمتزج الحكمة والخبل، العقل والجنون في هذا الكلام !

ليـــر : إن كنت تريد أن تبكي حظي التعيس فخذ عينيّ . إني أعرفك جيد المعرفة . اسمك جلوستر . عليك أن تتذرع بالصبر . لقد جئنا إلى هذه الدنيا ونحن نبكي . أنت تعلم أننا ساعة أن نولد ونشم الهواء لأول وهلة نُعول ونبكي . استمع إلى موعظتي هذه .

جلوستـر : يا شؤم هذا اليوم !

ليـــر : عندما نولد نبكي لأننا أتينا إلى مسرح البلهاء الكبير هذا . انظر هذه كتلة خشبية جيدة . حيلة رائعة لو غطيت حوافر الخيل باللبّاد . سأجربّها وعندما أباغت صهريْ هذين أصدر الأمر : اقتل . اقتل . اقتل .

(يدخل سيد ومعه أتباع)

سـيـد : ها هو ذا . امسكوه . مولاي إن ابنتك الحبيبة ....

ليـــــــــر : مـا من منقـذ ؟ مـاذا ؟ أأسـيـر أنا ؟ إننى ولدت لأكـون ألعـوبة فى يد الدهر . أحـسنوا مـعـاملتـى ، ستدفـع لكم فدية . هـاتوا لى أطباء فإن إصابتى قد بلغت عقلى .

السـيـد : سيكون لك كل ما تشاء .

ليـــــــــر : تأخذوننى وحدى هكذا . هذا يجعلنى رجل الدموع أبكى حتـى أروى الحديقـة بدموعى وأسكّن ما يثـار من غبار الخريف . سـأموت شجـاعًا متـأنقًا كالعـريس . مـاذا ؟ سـأبتـهج وأفرح . لا يا سـادتى . أنا الملك . ألا تعرفـون ذلك ؟

السـيـد : أنت صاحب الجلالة ونحن رهن أوامرك .

ليـــــــــر : إذن فــلا يزال هناك أمل . تعـالوا لتـأخـذوه . إن كنتم تريدونه فلن تحـصلوا عليـه إلا جـريا . أهُهْ . أهـه . أهه **(يخرج وهو يجرى وخلفه الأتباع)**

السـيـد : منظر إن وجـد فى أحطّ مـخلوق أثار الشـفقـة . أما وإن وجد فى ملك حينئذ يعجز عن وصفه اللسان. إنك لا تزال لديك بنت فيـها خـلاص الطبيـعة البشـرية من تلك اللعنة الشـاملة التى جلبتها لها البنتان الأخريان .

إدجــــــار : سلام عليك يا سيدى الكريم .

السـيـد : وعليك السلام .. ماذا تريد ؟

إدجــــــار : أسمعت شيئًا عن معركة وشيكة الوقوع ؟

السـيـد : بالتـأكيد . هذا خـبر شـائع سـمعه كل من له أذن تميز الأصوات .

إيجـــــار : قل لى من فضلك أين يقع الجيش الآخر ؟

الســــيــد : إنه قريب منا ويزحف حثيثًا . فنتوقع أن نرى قواته الرئيسية في أى لحظة الآن .

إيجـــــار : أشكرك يا سيدى . هذا هو كل ما أود أن أعرفه .

جلوسـتـر : الملكة بقيت هنا لأمر خاص ولكن جيشها قد تحرك فعلاً.

إيجـــــار : أشكرك يا سيدى . (يخرج السيد)

جلوسـتـر : أيتها الآلهة الرحيمة أبداً . خذى أنت روحى . لا تدعى ما فيّ من شر يغوينى مرة ثانية على محاولة الموت قبل مشيئتك .

إيجـــــار : لقد أحسنت الصلاة يا أبى .

جلوسـتـر : من أنت أيها السيد الكريم ؟

إيجـــــار : رجل فقير جداً أذعن لضربات الدهر . تعلم مما عرفه وأحس به من الآلام فعاد سريع التأثر والشفقة أعطنى يدك وسأقودك إلى مكان تأوى إليه .

جلوسـتـر : أشكرك من قلبى . كما أسبغت السماء عليك نعمتها وبركاتها . (يدخل أوزولد)

أوزولـــد : هذه جائزة معلن عنها . يا لحظى السعيد ! إن رأسك عديم العينين هذا ما خُلق إلا لتحسين نصيبى ومستقبلى. أيها الخائن العجوز ، تذكر خطاياك بسرعة فقد أستلّ السيف الذى سيقضى عليك بلا شك .

جلوسـتـر : إذن فاجعل يدك الحبيبة تدفعه بشدة تكفل ذلك . (يتدخل إيجار)

أوزولـــــد : لماذا أيها الفلاح الوقح تجسر على عون رجل أعلنت خيانته ؟ اغرب عن وجهي وإلا انتقلت إليك العدوى من حظه السقيم . خَلِّ عن ذراعه .

إدجــــــار : لن أخلي عنها يا سيدي دون أن تقدم لي سبباً آخر .

أوزولـــــد : إن لم تخل عنها يا عبد قتلتك .

إدجــــــار : امض لشأنك يا سيد ودع الخلْق المساكين يمرون بسلام. لو أمكن قتلي بمجرد البخترة لما ظللت على قيد الحياة أكثر من أسبوعين . لا . لا تقرب هذا الرجل العجوز . أنا أنذرك ألا تمسه وإلا وجدتني أجرب هراوتي هذه لنرى أيهما أقوى هي أم قرعتك. هكذا بمنتهى البساطة .

أوزولـــــد : اخرج يا ابن المزبلة !

إدجــــــار : سأخلع بسنانك يا سيد . اقترب فلا أعبأ بطعناتك .

(يتقاتلان ويصرعه إدجار)

أوزولـــــد : لقد قتلتني يا عبد . يا فلاح . خذ كيس نقودي وادفني إن كنت تريد التوفيق. ووصّل ما تجده معي من خطابات إلى إدموند – إيرل جلوستر . ابحث عنه في معسكر الإنجليز . آه . مُتّ قبل الأوان . مت . (يموت)

إدجــــــار : إني أعرفك جيداً . وغد خنوم مطيع لرذائل سيدتك بكل ما يصبو إليه الشر من ولاء .

جلوســـتـــر : هل مات ؟

إدجــــــار : اجلس أنت يا أبي . استرح . دعنا نرى ما في هذه الجيوب . فقد تفيدني هذه الخطابات التي تحدث عنها .

مات ولا آسف على شيء إلا على كوني أنا الذي سببت
موته . لنر . معذرة يا شمع الختم الرقيق ، وأنت يا آداب
السلوك لا تلومينا . لكي نقف على نوايا أعدائنا لا نحجم
عن تمزيق قلوبهم ، فتمزيق أوراقهم إذن حلال (يقرأ)
«تذكر ما تبادلناه من عهود. لديك فرص عديدة لاغتياله .
إن لم تكن تعوزك الإرادة توفر لك الزمان والمكان
المواتيان .. إذا عاد منتصراً ضاع كل شيء وبقيت أنا
سجينته وسريره هو سجني . أرجوك أن تنقذني من دفئه
المقيت وتشغل أنت مكانه نظير أتعابك . زوجتك ، هكذا
أود أن أقول – عشيقتك المحبة . جونريل» ما أعظم
شهوة المرأة التي لا تعرف الحدود . تتآمر على حياة
زوجها الفاضل وتحل محله أخي ! هنا في الرمال
سأواريك ، في المكان الذي يدنسه القتلة والفاسقون .
وفي الوقت الملائم بهذه الورقة سأطرف عين الدوق الذي
تآمروا على حياته . ولصالحه يحسن أن أخبره بأمر
موتك وبالمهمة التي كنت تضطلع بها .

جلوستر : الملك أصابه الجنون . أما أنا فعقلي المقيت صامد عنيد
وأعي تماماً همومي الفظيعة . كان أفضل لو جننت
وانفصلت أفكاري عن أحزاني ، فالأوهام تسلب الهموم
قدرتها على إدراك ذاتها . (طبل من بعيد)

إدجار : هات يدك . أظن أنني أسمع الطبل يدق من بعيد . تعال
معي يا أبي إلى صديق تقيم عنده .
(يخرج إدجار وجلوستر)

المشهد السابع

(خيمة في معسكر الفرنسيين)

(تدخل كورديليا وكِنت وطبيب وسيد)

كورديليا : يا لك من رجل فاضل يا كِنت . لست أدرى كيف أحيا وماذا أصنع لكى أكافئك على طيبتك . لن يكفينى عمرى بأكمله . ومهما فعلت فلسوف أقصِّر عن ذلك .

كِنت : مولاتى . إنك بتقديرك هذا تكافئيننى بأكثر مما أستحق. إن ما حكيته لك عنه لا يعدو الحقيقة البسيطة . ما حدث فعلاً لا أكثر ولا أقل .

كورديليا : رُحْ وارتدِ ثياباً أنسب . فما ترتديه من ملابس يذكرنا بأوقات الشدة تلك . أرجوك أن تخلعها .

كِنت : أرجو ألا تؤاخذينى يا مولاتى العزيزة . إن ظهرتُ للناس على حقيقتى أفسد ذلك خطتى الموضوعة ورجائى أن تتفضلى علىّ فلا تظهرى أنك تعرفين من أنا حتى اللحظة التى أراها مناسبة .

كـورديليـا : ليكن كما تشاء يا سيدى الكريم (إلى الطبيب) كيف حال الملك ؟

الطبـيب : لا يزال نائمًا يا مولاتى .

كـورديليـا : أيتها الآلهة الرحيمة . ارأمى ذلك الصدع الجسيم فى كيانه المجهَد الذى سِيم الضيم وشدّى أوتار الحواس المرخيّة الناشزة في ذلك الأب الذى صار كالطفل .

الطبـيب : أتسمح جلالتك بأن نوقظ الملك ؟ لقد نام بما فيه الكفاية.

كـورديليـا : ليكن رائدك هو علمك وتصرف كما تشاء أنت . هل ألبستموه ما يليق ؟

(يدخل لير جالسًا فى كرسى يحمله الخدم)

الطبـيب : كونى بالقرب منه يا مولاتى الكريمة حين نوقظه ، فلست أشك فى أنه استعاد رشده .

كـورديليـا : كما تشاء (موسيقى)

الطبـيب : اقتربى من فضلك . ارفعوا صوت الموسيقى .

كـورديليـا : آه يا أبتِ العزيز . ليكن الدواء الذى فيه شفاؤك عالقًا بشفتى . ولتداو هذه القبلة تلك الأضرار العنيفة التى نالت بها أختاى من شخصك الوقور .

كـنـت : أيها الأميرة العزيزة البارة .

كـورديليـا : أما كانت هذه الجدائل البيضاء كالثلج كفيلة بأن تستدر شفقتهما حتى لو لم تكن أنت أبا لهما ؟ أهذا وجه يليق بأن يعرّض لمقاومة الرياح المتصارعة وللصمود أمام جلجلة الرعد وصواعقه المرعبة ؟ وللوقوف حارسًا

مسكيناً بهذه الخوذة الرقيقة إبان طعنات البرق الخاطف المخيف وهي تتهاوى سريعاً من كل صوب ؟ لو كان كلبَ عدوى - حتى وإن كان عضّنى - لجعلته يقعد أمام مدفأتى فى تلك الأمسية . وكم كنت سعيداً يا أبت بأن تلجأ إلى خصٍّ حقير مع الخنازير والصعاليك المنبوذين وتلوذ بما فيه من قشٍّ متعفن متآكل ! يا لهفتى ! يا لهفتى ! إنه لعجيب أن حياتك لن تتوقف حينما توقف عقلك . إنه يفيق . كلّمه .

الطبيب : كلميه أنت يا مولاتى ، فهذا أنسب .

كورديليا : كيف حال مولاى الملك ؟ كيف حال جلالتك ؟

لير : إنكم تسيئون إلىّ حينما تخرجوننى من القبر . أنتِ روح من أرواح النعيم بينما أنا فى الجحيم مقيّد بعجلة النار[٣٣] بحيث إن دموعى ذاتها تلسعنى كما لو كانت رصاصاً منصهراً .

كورديليا : مولاى . أتعرفنى ؟

لير : نعم أعرف أنك روح من الأرواح . أين مُتِ ؟

كورديليا : لا يزال شارداً يسرح بعيداً عنا .

الطبيب : إنه ما كاد يستيقظ بعد . اتركيه وشأنه لحظة .

لير : أين كنتُ ؟ أين أنا ؟ أهذا نور النهار الجميل ؟ لابد أنى مخدوع جداً ! لو رأيت إنساناً آخر فى مثل حالى لقُضيت شفقة عليه . لا أدرى ماذا أقول . لن أقسم بأن هاتين اليدين هما يداى . دعنا نجرّب . أنا أحس بوخز

هذا الدبوس الدقيق . ليتنى أستطيع أن أتأكد من حالى أيضاً .

كورديليا : انظر إلىّ يا مولاى ، وابسط يدك على رأسى لتباركنى . لا يا مولاى . ينبغى ألا تركع .

ليــــر : أرجوك ألاّ تتهكمى علىّ . أنا رجل عجوز أحمق خَرِف فوق الثمانين ، لا ساعة أكثر ولا أقلّ . وأصارحك القول أخشى ألا أكون محتفظاً بكامل قوى عقلى . أظن أننى أعرفك وأعرف هذا الرجل . ومع ذلك فأنا فى شك من أمرى . لا أعرف على الإطلاق هذا المكان كما أنى بكل قواى لا أستطيع أن أتذكر هذه الثياب . لا ولا أين بتُّ الليلة الماضية . لا تضحكوا منى إن قلت لكم إننى مثلما أنا متأكد من أننى رجل أعتقد أن هذه السيدة هى ابنتى كورديليا .

كورديليا : نعم أنا هى . أنا هى .

ليــــر : أتبلّك الدموع ؟ نعم . أتوسل إليك ألاّ تبكى . إن كان لديك سمّ لى تجرعته . أعرف أنك لا تحبيننى . إن أختيك - على حد ما أتذكر - ظلمتانى . أنت لك عذرك . أما هما فليس لهما أى عذر .

كورديليا : لا عذر . لا عذر .

ليــــر : هل أنا فى فرنسا ؟

كِنــت : أنت فى مملكتك يا مولاى .

ليــــر : لا تخدعونى .

الطبيب : اطمئنى يا مولاتى الكريمة . لقد مضت سورة الجنون فيه وانقضت كما ترين . غير أنه من الخطر أن تجعليه يتذكر كل ما فقدته ذاكرته من الزمن . اطلبى إليه أن يدخل ولا تزعجيه بعد الآن حتى يزداد هدوءا !

كورديليا : أيروق لجلالتك أن تتفضل لترتاح ؟

لير : أرجوكم أن تحتملونى وأتوسل إليك أن تنسى وتغفرى : إننى هَرِم أحمق .

(يخرج لير وكورديليا وأتباع)

السيد : أصحيح يا سيدى أن دوق كورنوول قُتل ؟

كِنت : نعم بكل تأكيد .

السيد : ومن يقود جيشه الآن ؟

كِنت : ابن جلوستر غير الشرعى كما يقولون .

السيد : يقولون إن إدجار ابنه المنفىّ هو الآن مع النبيل كِنت فى ألمانيا .

كِنت : الأخبار فى تغيّر مستمر . لقد آن أن نراقب ما يدور حولنا . وجيوش البلاد يقترب أحدها من الآخر بسرعة .

السيد : من المحتمل أن يكون اللقاء الحاسم دمويًا . وداعًا يا سيدى (يخرج)

كِنت : إن غاية حياتى ونهاية جملتى سيتم وضعها حين تحسم معركة اليوم ، إما بالسراء وإما بالضراء

(يخرج)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(المعسكر البريطاني بالقرب من دوفر)

(يدخل بالطبول والرايات إدموند وريجان وضباط وجند وغيرهم)

إدموند : استفهم من الدوق عما إذا كان لا يزال عند قراره الأخير أو إذا كان شيء ما قد جعله يعدل عن مسلكه . إنه منبذب كثير الوسوسة ومحاسبة النفس . احمل لنا ما استقر رأيه عليه . (إلى ضابط يخرج)

ريجان : لا شك أن رسول أختنا أصابه سوء .

إدموند : هذا ما أخشاه يا مولاتي .

ريجان : والآن يا عزيزي اللورد ، وقد عرفت ما في نيتي أن أضفيه عليك من الخير ، قل لي بصدق ، حتى وإن كانت الحقيقة كريهة لديّ ، أتحب أختي ؟

إدموند : حبًا شريفًا عفيفًا .

ريجان : ألم تطرق أبدًا سبيل زوجها إلى المكان المحرّم ؟

إدموند : هذا الخاطر لا يليق بك .

ريجـــــان : إنى أخشى أن تكون قد احتضنتها فضيلةً وجسداً بكل ما فى اللفظة من معنى .

إدمـــــوند : أقسم بشرفى أن لا يا مولاتى .

ريجـــــان : لن يكون بمقدورى أن أحتملها إن فعلت . يا سيدى العزيز أرجوك أن لا ترفع الكلفة بينكما .

إدمـــــوند : لا تخافى علىّ . هاهى ذى وزوجها الدوق .

(يدخل بالطبل والرايات أولبانى وجونريل وجنود)

جـــونريل : (لنفسها) أهون علىّ أن أخسر المعركة من أن تفلح هذه الأخت فى القضاء على ما يربطه بى من علاقة .

أولبـــانى : أهلاً وسهلاً أختنا الحنون . سيدى ، لقد سمعت أن الملك ذهب إلى ابنته ومعه آخرون أجبرهم حكمنا الشديد على التمرد . حيثما كان فى الشجاعة ما يمسّ شرفى ونزاهتى لم أُوت قط الشجاعة . ولكن هذه مسألة تهمنا من حيث إن فرنسا تغزو أرضنا ، لا من حيث إنها تسعى لنصرة الملك ومن معه ممن تألبوا لاعتبارات هى فى رأيى عادلة وخطيرة .

إدمـــــوند : سيدى إنك تقول كلاماً نبيلاً .

ريجـــــان : وما الداعى لذكر ذلك ؟

جـــونريل : لنتضافر معًا ضد العدو . إن هذه الخلافات الخاصة الداخلية ليست هى المسألة التى نحن بصددها هنا .

أولبـــانى : لنضع إذن خطتنا بمعونة الضباط المحنكين فى القتال .

إدمـــــونـد : سأحضر عندك سريعًا فى خيمتك .

ريـجـــــان : أتأتين معنا يا أختى ؟

جـــونـريل : لا .

ريـجـــــان : من الأنسب أن تأتى . تعالى . أرجوك .

جـــونـريل : (لنفسها) آه . عرفت السر . سآتى .

(يدخل إدجار متنكرًا بينما هم خارجون)

إدجـــــــار : كلمة واحدة يا مولاى إن كنتَ تحدثت فى حياتك إلى رجل فقير مثلى .

أولبــــانى : سألحق بكم .

(يخرج إدموند وريجان وجونريل وضباط وجنود وأتباع)

تكلم .

إدجـــــــار : قبل أن تخوض المعركة افتح هذا الخطاب . إن انتصرتَ مُرْ بأن ينفخ فى البوق ويطلب من جاء به . وعلى الرغم من مظهرى البائس إلا أننى بمقدورى أن أحضر بطلاً يثبت صحة ما ورد به من التهم . أما إذا هُزِمتَ فإن علاقتك بالدنيا تكون قد انتهت ومعها تنتهى المؤامرات . ليكن الحظ حليفك .

أولبــــانى : انتظر ريثما أقرأ الخطاب .

إدجـــــــار : لم يُسمح لى بذلك . حين يحين الوقت ما عليك إلا أن تأمر المنادى بأن يصيح وأنا أظهر ثانية .

أولبــــانى : وداعًا إذن . سأقرأ الورقة (يخرج إدجار)

(يعود إدموند)

إدمـــــوند : العدو على مرمى النظر . اجمع جنودك . هذا هو تقدير مدى قوى العدو وعدده بناء على استطلاع دقيق . الأمر عاجل يتطلب منك منتهى السرعة .

أولبـــــانى : سنسلك بما يتطلبه هذا الطارئ (يخرج)

إدمـــــوند : لقد أقسمت بحبى لكلتا هاتين الأختين . وكل منهما ترتاب في الأخرى كما يرتاب في الأفعى كُلّ من لدغته . أيهما آخذ ؟ كلتاهما أو إحداهما أو لا واحدة منهما ؟ لن يمكنني أن أستمتع بأى منهما إن ظلت كلتاهما على قيد الحياة . إن اخترت الأرملة اغتاظت أختها جونريل حتى الجنون . وبالطبع يتعذر علىّ أن أؤدى دورى مع جونريل وزوجها لا يزال حيًا . سنستغل سلطانه في المعركة وحين ينتهى القتال دعها هى التى تريد أن تتخلص منه تجد وسيلة لاغتياله العاجل . أما عما يضمره من مشاعر الرفق والرحمة إزاء لير وكورديليا فلننتظر حتى نهاية المعركة وحين يصبحان في قبضتنا لن يريا منا ذلك العفو الذى ينويه . إن مركزى يتطلب العمل لا الكلام .

المشهد الثانى

(ساحة بين المعسكرين)

(بوق من الداخل . يدخل بالطبل والرايات لير وكورديليا ومعهما قواتهما ثم يخرجون)

(يدخل إدجار وجلوستر)

إدجـــــار : هنا يا أبى دع ظل هذه الشجرة يستضيفك وادعُ الآلهة لنصـرة الحق . إن عـدتُ إليك على الإطلاق جلبت لك السلوى .

جلوستـر : ليصاحبك لطف الآلهة يا سيدى . **(يخرج إدجار)**

(أبواق - بعدها تقهقر - يعود إدجار)

إدجـــــار : اهرب أيها الرجل العجوز . أعطنى يدك لنبعد عن هنا . لقد خسر الملك لير المعركة وأُسِر هو وابنته كورديليا . هات يدك . تعال .

جلوستـر : لا . لن أذهب أبعد من هنا يا سيدى . إن الإنسان مسموح له بالموت والعفن حتى فى هذه البقعة .

إدجـــــار : مـاذا ؟ هل عدتَ إلى أفكارك السقيمة ؟ على المرء أن
يحتمل خروجه من الدنيا كما يحتمل مجيئه إليها . المهم
هو أن يكون على أهبة الاستعداد دائمًا . تعال .

جلوسـتـر : وهذا أيضًا صدق .

(يخرجان)

المشهد الثالث

(المعسكر البريطانى قرب دوفر)

(يدخل إدموند منتصراً بالطبل والرايات – ولير وكورديليا أسيرين – وضباط وجنود)

إدمـــوند : ليأخذهما بعض الضباط ولتشدّد الحراسة عليهما حتى تعرف نية أولئك الذين من سلطتهم محاكمتهما .

كـورديليـا : لسنا أول من جروا على أنفسهم أسوأ العواقب بأحسن النيات . من أجلك أيها الملك المضطهد غُلبت على أمرى ولولاك لكان بوسعى أن أقطّب فى وجه القدر المتقلب المقطب الجبين . ألن نرى هاتين الابنتين أو هاتين الأختين ؟

لـيـــر : لا . لا . تعالى بعيداً إلى السجن . فهناك سنكون بمفردنا ونغنّى كما تغنى الطيور فى القفص . وحينما تطلبين منى أن أباركك أركع أمامك وأسألك الغفران . وهكذا سنعيش ونتعبد ونتسلى بالفراشات ونغنّى ونروى

أساطير الأولين ونسمع الناس البؤساء يتحدثون عن أخبار البلاط ونتحدث معهم أيضًا ونتكلم عمن يخسر ومن يكسب ، من هم المرضى عنهم ومن المغضوب عليهم ونزعم أننا نفهم سر الأحداث في هذه الدنيا كما لو كنا عيون الآلهة . ونظل هنا داخل أسوار السجن بينما تتبدل الأحوال بأحزاب العظماء وشيعهم في مدها وجزرها تحت تأثير القمر ..

إدمـــوند : خذوهما بعيداً عن هنا .

لـيـــــر : إن الآلهة ذاتها يا بنتي كورديليا لتنثر البخور على مثل تضحيتك هذه . أخيراً وجدتك يا بنتي ولن يفرق بيننا إنسان بعد الآن – اللهم إلا إذا أتى بشعلة من السماء وأخرجنا من جحرنا كما يخرجون الثعالب بالنار والدخان . امسحي الدموع من عينيك . سيلتهمهم الدهر جلداً ولحمًا قبل أن يجعلونا نبكي ! سنراهم يموتون جوعًا قبل أن تذرف عيوننا الدموع ، تعالى .

(يخرج لير وكورديليا تحت الحراسة)

إدمـــوند : تعال هنا أيها الضابط . اصغ لي . خذ هذه الورقة **(يعطيه ورقة)** اذهب والحق بهما في السجن . لقد سبق أن رقيتك رتبة . إن فعلت طبقًا لما في هذه الورقة من تعليمات فإنك بذلك تشق طريقك إلى المجد . تعلّم هذه الحكمة وهي أن الناس يجب أن يسلكوا حسب الظروف والرقة لا تناسب حامل السيف . إن مهمتك الكبرى

لا تقبل الجدال . أمامك أن تختار بين شيئين : إما أن تتعهّد بتنفيذ هذه المهمة وإما أن تنشد لنفسك الفلاح بوسيلة أخرى .

الضـــابط : سأنفذ المهمة يا سيدى .

إدمــــونـد : امضِ إذن ومتى ما أديتها سمِّ نفسك رجلاً سعيد الحظ. انتبه إلى ما أقول : تصرّف فى الحال وعلى النحو الذى دوّنته بالضبط .

الضـــابط : ليس بمقدورى أن أظل أكدح كفلاّح فأجرّ عربة كالحصان أو أن آكل الشعير الجاف . إذا كانت المهمة فى استطاعة إنسان أن يقوم بها نفذتها . **(يخرج)**

(صوت أبواق . يدخل أولبانى وجونريل وريجان وضباط وجنود)

أولبـــانى : يا سيد إدموند . لقد أظهرت اليوم معدنك وجسارتك ولقد كان الحظ حليفك . إن لديك الأسيرين اللذين كانا خصمينا فى معركة اليوم . أود أن تعطينى إياهما لكى نتصرف إزاءهما بما يناسب وضعهما وبما تقتضيه سلامتنا .

إدمــــونـد : لقد رأيت أنه من الأوفق يا سيدى أن أرسل الملك المسنّ اليأس إلى مكان أمين تقوم عليه الحراسة . فشيخوخته لها سحرها ولقبه ذو أثر قوى فى اجتذاب العامة إلى صفه بحيث تتحول عنا جنودنا التى هى تحت إمرتنا وتثور علينا . وقد أرسلت معه الملكة لعين الأسباب .

وهما سيكونان جاهزين غداً أو فى أى وقت فيما بعد لكى يحضرا حيثما تشاء أن تعقد الاجتماع . نحن الآن لا نزال نتصبب عرقًا ولا زالت دماؤنا تسيل فالصديق قد فقد صديقه وإن أعدل القضايا حين تكون المشاعر لا تزال تغلى يجور عليها أولئك الذين لا يزالون يكتوون بنارها . إن مسألة كورديليا وأبيها تتطلب مكانًا أليق من هذا المكان من أجل العدالة .

أولبانى : مغفرة يا سيدى . إننى أعتبرك مجرد ضابط من الرعية فى هذه الحرب لا أخًا لنا .

ريجان : هذا يتوقف على مشيئتنا . أظن أن رأينا كان يجب أن يؤخذ فى هذه المسألة قبل أن تتفوه بكل هذا الكلام . لقد قاد إدموند قواتنا وقام بوظيفتى وحلّ محل شخصى فى هذه الحرب وكونه ممثلاً شخصياً لى يرفع قدره ويخول له الحق فى أن يعتبر نفسه أخًا لك .

جونريل : لا تبالغى يا ريجان . إن ما يتحلى به من سجايا ليرفع قدره أكثر مما يرفعه ما تخلعين عليه .

ريجان : إنه ليعدل خير الناس بفضل ما لى من حقوق خلفتها عليه.

أولبانى : هذا غاية ما يناله لو أنه كان بعلا لك .

ريجان : كم من نبوءة جرت على لسان مازح !

جونريل : مهلاً . مهلاً . العين التى أخبرتك بذلك بها حَوَل .

ريجـــان : سيدتى . إنى أشعر بشىء من التوعك وإلا أجبتك بوابل من الغضب . أيها القائد إدموند ، خذ جندى وأسراى وممتلكاتى . إنها جميعًا تحت تصرفك وأنا أيضًا تحت تصرفك وقصرى ملك لك . ليشهد العالم أننى هأنذا هنا أجعلك سيدى وزوجى .

جـونريل : أتنوين أن تستمتعى به ؟

أولبـانى : ليس من سلطتك أنت أن تمنعيها .

إدمـونـد : ولا من سلطتك أنت .

أولبـانى : بلا يا ابن الزنا .

ريجـان : (إلى إدموند) دع الطبول تقرع يا إدموند لتعلن على الملأ أن لقبى قد أصبح لقبك .

أولبـانى : مهلاً واستمعوا إلىّ . يا إدموند إنى أقبض عليك بتهمة الخيانة العظمى ومعك شريكتك فى التهمة – هذه الأفعى ذات المظهر الخلاب (مشيرًا إلى جونريل) . أما عن زواجك المزمع أيتها الأخت الحسناء فإنى أمنعه لصالح زوجتى فهى التى قد عقدت قرانها من الباطن على هذا السيد ، ولذلك فأنا بوصفى زوجها أعترض على زواجك هذا الذى أشهرت نيته . إن كنت تريدين الزواج فعليك أن تخطبى ودّى أنا إذ أن زوجتى محجوزة له .

جـونريل : أى تمثيلية هذه ؟

أولبـانى : إنك لا تزال مسلحًا يا إدموند . انفخوا فى البوق وإذا لم يحضر أحد ليتحداك ويثبت خياناتك السافرة المقيتة

العديدة فهأنذا أتحداك وهاك قفازى **(يلقى قفازه على الأرض)** سأثبت خيانتك بطعنك فى قلبك قبل أن يذوق فمى الطعام . أقول لك إنك لست فى أى شىء سوى ما أعلنته هنا .

ريجان : أنا مريضة ! مريضة !

جونريل : **(لنفسها)** طبعًا وإلا لما وثقتُ فى الطب بعد الآن .

إدموند : وأنا أقبل هذا التحدى **(يلقى بقفازه على الأرض)** إن أىّ إنسان فى هذه الدنيا يزعم أننى خائن إنما هو وغد كاذب . انفخوا فى البوق . ومن يجرؤ على أن يتقدم سواء أنت أو غيرك سأبرر صدقى وشرفى بما يصنعه سيفى بشخصه .

أولبانى : أحضروا مناديا . عليك أن تعتمد على شجاعتك وشخصك فحسب يا إدموند ، فجنودك جُمّعوا باسمى وباسمى سُرّحوا جميعًا .

ريجان : مرضى يزداد سوءا !

أولبانى : إنها مريضة . خذوها إلى خيمتى .

(تخرج ريجان يقودها البعض)

(يدخل المنادى)

اقترب أيها المنادى . انفخوا فى البوق . وأعلن نص هذه الرسالة .

ضابط : انفخوا فى البوق **(ينفخ فى البوق)**

المنادى : (يقرأ) إذا كان هناك بين صفوف الجيش رجل ذو أصل أو منزلة يريد أن يثبت أن إدموند المدّعى أنه أمير جلوستر خائن فى أكثر من قضية فليظهر أمامنا هنا حينما ينفخ فى البوق للمرة الثالثة . إن إدموند على استعداد للدفاع عن نفسه بجسارة . انفخوا فى البوق **(ينفخ فى البوق)** . انفخوا فى البوق ثانية **(ينفخ فى البوق مرة ثانية)** . انفخوا فى البوق للمرة الثالثة **(ينفخ فى البوق مرة ثالثة)** .

(صوت نفير يرد من الداخل - يدخل إدجار مسلحًا يتقدمه رجل يحمل بوقًا)

أولبانى : سلْه عن قصده ، ولماذا يظهر عند نفخ البوق للمرة الثالثة ؟

المنادى : من أنت ؟ ما اسمك ومنزلتك ؟ ولماذا تجيب هذا النداء ؟

إدجار : اعلموا أن اسمى قد سلب منى : أتت عليه الخيانة بأنيابها وعضّت فيه وامتصت منه الحياة . بيد أنى لا أقل نبلا من غريمى الذى أتيت علاقاته .

أولبانى : من هو هذا الغريم ؟

إدجار : أين هو الذى يتحدث باسم إدموند أمير جلوستر ؟

إدموند : أنا هو . ماذا تريد أن تقول لى ؟

إدجار : ارفع سيفك كى يردّ لك ساعدك حقك إذا كان كلامى سيجرح نفسًا شريفة . ها هو ذا سيفى . انظر . إن من حقى كفارس نبيل حالف اليمين أن أرفع سيفى ضد الخيانة. هأنذا هنا على الرغم من قوتك ومركزك وشبابك

وعلو شأنك ، وعلى الرغم من سيفك المنتصر وحُسْن طالعك الجديد ، وعلى الرغم من بسالتك وشجاعتك – على الرغم من كل ذلك هأنذا أعلن أنك خائن ، خائن لآلهتك ولأخيك ولأبيك ، متآمر على هذا الأمير ذى الشأن الرفيع ، وإنك من قمة رأسك إلى أخمص قدميك بل حتى إلى التراب الذى تحتهما خائن دنس . إن أنكرت ذلك فإن سيفى وساعدى وكل قواى قد عقدت العزم على أن تسطرّ خيانتك على قلبك ، ولذلك أقول إنك كاذب .

إدمـــونـد : إن الحكمة تقضى بأن أسألك ما اسمك . ولكن لما كان مظهرك حسنًا ينم عن الشجاعة ، ولما كان لسانك تشتم منه رائحة المحتد الطيب ، لذلك لن أحتكم بقوانين الفروسية وانتظر حتى أعرف اسمك من باب الدقة والأمان. بل أتغاضى عن كل ذلك وأردّ إليك تهمة الخيانة وأصبّها على رأسك وأفعم قلبك بهذه الأكذوبة الكريهة مثل جهنم . إن اتهاماتك تنزلق ولا تخدش ولذلك فهاهو سيفى مسلول لكى يعينها فيشق للخيانة فى الحال طريقًا إلى رأسك وللأكذوبة سبيلاً إلى قلبك وهناك يستقران إلى الأبد . تكلمى أيتها الأبواق .

(صوت أبواق – يتبارزان ويسقط إدموند)

أولبـــانى : أنقذوه . أنقذوه .

جـــونريل : إنها مؤامرة يا جلوستر . فقواعد الحرب تقضى بأن من حقك ألا تجيب غريمًا مجهول الاسم . أنت لم تُهزم وإنما خدعوك ومكروا بك .

أولبـــــانى : اخرسى أنت يا امرأة وإلا أطبقت فمك بهذه الورقة . مهلاً. انظر يا سيد إلى هذه الرسالة واقرأ فيها جرمك – أنت يا من يعجز الكلام عن وصف شره . لا تحاولى تمزيقها أيتها السيدة . أرى أنك تعرفينها .

جـــونريل : وماذا إن قلت نعم أعرفها . إن القوانين قوانينى أنا لا قوانينك أنت . من ذا الذى يجرؤ على إدانتى ؟

أولبـــــانى : يا للفظاعة ! أتعرفين هذه الورقة ؟

جـــونريل : لا تسلنى ما أعرف (تخرج)

أولبـــــانى : الحق بها يا ضابط . إنها يائسة فلاحظها . (يخرج ضابط)

إدمـــــوند : ما اتهمتنى بارتكابه ارتكبته فعلاً . بل وارتكبت أكثر منه بكثير مما ستظهره لك الأيام . لقد مضى الآن كل ذلك ، وأنا أيضاً مضيت ، ولكن أخبرنى من أنت يا من كتب له النصر علىّ ؟ إن كنتَ نبيلاً عفوت عنك .

إدجـــــــار : دعنا نتبادل العفو . إنى لا أقل عنك نبلاً يا إدموند . وكونى أعلى منك يضاعف مقدار ما أنزلته بى من ضرر. اسمى إدجار ابن أبيك . إن الآلهة عادلة فهى تصنع من رذائلنا المحببة إلى نفوسنا أدوات تعاقبنا بها . ذلك المكان المعتم الأثيم الذى أنجبك فيه قد كلّفه بصره .

إدمـــــوند : صدقت القول . لقد دارت عجلة الدهر دورة كاملة وأنا الآن فى الحضيض .

أولبـــــانى : لقد بدا يا إدجار أن هيئتك تدل على محتد طيب نبيل . دعنى أعانقك وليشطر الأسى فؤادى شطرين إن كنت يوماً كرهتك أو كرهت أباك .

إدجـــــار : أعرف ذلك أيها الأمير الفاضل .

أولبـــــانى : أين كنت مختبئاً ؟ وكيف علمت بما لقيه أبوك من ويلات؟

إدجـــــار : علمت بها عن طريق مواساته يا سيدى . استمع إلى هذه القصة القصيرة وياليت قلبى ينفطر حين أفرغ من سردها . إن الحكم الذى صدر بإعدامى مما دعانى إلى الهرب ظل يلاحقنى عن كثب ودفعنى إلى - آه حلاوة الحياة تجعلنا نؤثر احتمال آلام الموت كل ساعة من ساعات اليوم على أن نموت ميتة واحدة - أقول دفعنى هذا الحكم إلى التخفىَ فى هيئة رجل مجنون فارتديت أسمالا بالية وظهرت بمظهر أثار احتقار الكلاب ذاتها . وأنا فى تلك الهيئة وجدت أبى بخاتمية الداميين بعد أن فقد ما فيها من حجر ثمين . فأصبحت دليله أقوده وأتسول له وأنقذته من اليأس . ولم أكشف له عن حقيقة شخصى إلا منذ نصف ساعة خلت - وا أسفاه - حينما تسلّحت لهذه المعركة . وأنا آمل أن يحقق لى النصر وإن لم أكن واثقًا منه . طلبت منه أن يباركنى ورويت له قصتى منذ البداية إلى النهاية . إلا أن قلبه المشروخ - واأسفاه - لم يحتمل الصراع بين الانفعالات المتناقضة، بين الفرح والحزن فانفجر وهو يبتسم .

إدمـــــوند : إن قصتك هذه قد حركت مشاعرى وقد يكون لها أثر طيب . ولكن امضِ فى الحديث إذ يبدو عليك أن لديك أشياء أخرى تودّ أن تقولها .

أولبــــانى : إذا كان ما لديك أشد إيلاماً من ذلك فبالله عليك لا تقله. إن سماع ما قلته حتى الآن قد جَعلنى أكاد أذوب فى دموع الأسى .

إدجـــــار : إن ما قلته حتى الآن لأشبه بذروة الحب لا الألم . فهناك ألم آخر إن وصفت لك دقائقه تعدّى حدود المطلق . ففى أثناء صراخى وعويلى أتانى رجل كان قد نفر أولاً من صحبتى الكريهة حين رآنى فى أسمالى ولكنه بعدئذ حين عرف حقيقة الشخص الذى قاس كل هذا العذاب وضع ذراعيه القويتين حول عنقى ورفع عقيرته بالصراخ كما لو كان يود أن يشق عنان السماء وألقى بنفسه على أبى وروى له قصة العذاب الذى لقيه هو والملك لير ، العذاب الذى لم يسمع بمثله إنسان . وأثناء قصته ملكه الحزن بحيث إنه كاد يُقضى عليه . ولكن البوق كان قد نفخ فيه مرتين فاضطررت لتركه حينئذ وهو فى حالة إغماء .

أولبــــانى : ومَنْ هو ذلك الرجل ؟

إدجـــــار : كنت يا سيدى . كنت الذى حُكم عليه بالنفى . ولكنه تخفّى ولازم عدوه الملك وأدى له من الخدمات ما يستنكفه حتى العبد .

(يدخل رجل ومعه سكين تقطر دما)

الرجل : النجدة ! النجدة !

إدجار : أى نجدة تريد ؟

أولباني : تكلم يا رجل .

إدجار : ما معنى هذه السكين التى تقطر دما ؟

الرجل : إن الدم عليها ساخن يصعد منه البخار . لقد انتزعت من قلب .. أواه لقد ماتت !

أولباني : من التى ماتت ؟ أجب يا رجل .

الرجل : زوجتك يا مولاى . زوجتك . وأختها ترقد بجوارها مسمومة . لقد اعترفت زوجتك بأنها هى التى دست السم لها .

إدموند : لقد وعدتهما كلتيهما بالزواج . وها نحن ثلاثتنا الآن نقترن فى لحظة واحدة !

إدجار : هذا هو كنت مقبلاً . (يدخل كنت)

أولباني : أحضروهما هنا حيتين أو ميتتين (يخرج الرجل) إن حكم السماء هذا الذى ترتعد له الفرائص لا يثير أى شفقة فى نفوسنا . (إلى كنت) هل أنت كنت ؟ إن الوقت لا يسمح بما يقتضيه الأدب من الاحتفال والحفاوة بك يا سيدى .

كنت : لقد جئت لكى أحيِّى مليكى ومولاى تحية المساء. أين هو؟

أولباني : لقد نسينا هذا الأمر الجلل . تكلم يا إدموند . أين الملك؟ وأين كورديليا ؟

(تُحمل جثتا جونريل وريجان على خشبة المسرح)

أترى هذا المنظر يا كِنت ؟

كِـــنـــت : يا للأسى . لماذا حدث هذا ؟

إدمـــونـد : رغم كل شيء كان هناك من يحب إدموند . لقد سمّت الأولى الثانية من أجلى ثم قتلت نفسها بعد ذلك .

أولبـــانى : هذا صحيح . احجبوا وجهيهما .

إدمـــونـد : لم أعد أستطيع التنفس . ولكنى على الرغم من طبيعتى أريد أن أفعل خيراً أرسلوا شخصاً إلى القلعة فى التو . فقد أصدرت أمراً بقتل لير وكورديليا . أسرعوا إلى القلعة قبل فوات الأوان .

أولبـــانى : اجروا بسرعة . اجروا .

إدجـــار : لمن يا سيدى ؟ من كُلّف بهذه المهمة ؟ أعط الرسول دليلاً أو علامة على صدور العفو عنهما .

إدمـــونـد : صحيح . هاهو سيفى . أعطه الضابط هناك .

إدجـــار : أسرع وحياتك (يخرج الضابط)

إدمـــونـد : إنه لديه تعليمات من زوجتك ومنى بشنق كورديليا فى السجن وبالادعاء بأنها هى التى شنقت نفسها فى لحظة من لحظات اليأس .

أولبـــانى : حمتها الآلهة . احملوه بعيداً الآن (يحمل إدموند إلى الخارج)

(يعود لير حاملاً جثة كورديليا بين ذراعيه ، وضابط)

لــيـــــــــر : اصرخوا وعولوا معى ! أنتم رجال جبلتم من الصخر . لو كانت لدىّ ألسنتكم وعيونكم لصرخت حتى شدخت قبة السماء . إنها مضت إلى الأبد . فأنا أستطيع أن أميّز الميت من الحيّ . هى ميتة كالتراب . أعيرونى مرآة لأرى إن كانت أنفاسها تضببها أو تعكرها فأعرف حينئذ ما إذا كانت لا تزال حية .

كِــــنــــت : هل هذه هى النهاية المنتظرة للعالم ؟

إدجـــــــار : أم هى صورة ليوم الحشر المرعب ؟

أولبـــــانى : لتسقط السماوات الآن ولتنته الدنيا !

لــيـــــــــر : أرى الريشة تتحرك أمام فمها إذن فهى لا تزال حية . لو كان كذلك لما باليت بكل ما قاسيته من شقاء حتى الآن .

كِــــنــــت : (راكعًا) مولاى الكريم !

لــيـــــــــر : أرجوك . ابعد عنى .

إدجـــــــار : إنه صديقك كِنت النبيل .

لــيـــــــــر : جاءكم البلاء جميعًا أيها القتلة الخونة ! ربما كنت أستطيع إنقاذها . ولكنها الآن مضت إلى الأبد . كورديليا ! انتظرى لحظة . صه ! ماذا تقولين ؟ لقد كان صوتها دائمًا ناعمًا خافتًا ولطيفًا وهذه فضيلة كبرى فى المرأة . لقد قتلتُ العبد الذى شنقك .

الضـــابط : هذا صحيح يا سادتى . إنه قتله بيده .

لــيـــــــــر : أليس كذلك يا رجل ؟ لقد أتى علىّ وقت كنت فيه أجعل الرجال يقفزون ويفرون أمام سيفى القصير الصارم .

ولكنى رجل هرم الآن . وهذه المصائب قد أوهنتنى . من أنت ؟ لقد ضعف بصرى نوعًا . ولكنى سأخبرك حالاً .

كِـــنـــت : لو كان للدهر أن يذكر شخصين أحبهما ثم كرههما فأحدهما هو من تراه أمامك الآن .

لـيـــــر : لقد ضعف بصرى . ألست كنت ؟

كِـــنـــت : بعينه يا مولاى . خادمك كنت . أين خادمك كيز ؟

لـيـــــر : لقد كان رجلاً طيبًا . اسألنى أنا عنه . لم يكن يسىء الضرب ولا يتباطأ فى نجدة سيده ولكن مات وتعفن .

كِـــنـــت : لا يا مولاى . إننى ذلك الرجل ...

لـيـــــر : سننظر فى هذا الأمر حالاً .

كِـــنـــت : ذلك الرجل الذى لزم خطاك الحزينة منذ أن بدأت ظروفك تتغير وتنحدر بك الحال .

لـيـــــر : مرحبًا بك هنا .

كِـــنـــت : إننى ذلك الرجل الوحيد الذى تبعك . لا شىء هنا سوى الحزن والظلام والموت وابنتاك الكبريان قد هلكتا يأسًا .

لـيـــــر : هذا هو ما أعتقد .

أولبـــانى : إنه لا يعى ما يقول. وعبث أن نحاول تقديم أنفسنا إليه .

إدجـــــار : عبث ولا جدوى منه **(يدخل ضابط)**

الضـــابط : إدموند مات يا مولاى .

أولبـــانى : ما أتفه هذا الخبر فى هذه الظروف . أيها السادة والأصدقاء النبلاء . اعلموا نيتنا . إن كل جهد يمكن بذله سيبذل فى سبيل توفير السلوى لهذا الملك العظيم

المحطم . أما عن شخصنا فنحن سنتخلى لجلالته عن كل سلطاتنا طالما هو على قيد الحياة **(إلى إدجار وكِنت)** وأنتما ستعاد إليكما حقوقكما كاملة ومضافًا إليها ما اكتسبتماه بجدارة بفضل أياديكما البيضاء من الألقاب والامتيازات . إن جميع الأصدقاء سينوقون أجر فضيلتهم وجميع الأعداء سيتجرعون كأس العقاب التى يستحقونها . انظروا ! انظروا !

ليـــــــر : [٢٤] وحبيبتى المسكينة شنقوها . لا . لم تعد تنبض الحياة فيها . لماذا يتمتع بالحياة الكلب والحصان والفأر بينما أنت هكذا عديمة النَّفَس ؟ لن تعودى إلىّ ثانية ! أبدًا ! أبدًا ! أبدًا ! أبدًا ! أبدًا . أرجوك يا سيدى فكّ لى هذا الزرار شكرًا يا سيدى . أترون هذا ؟ انظروا إليها . انظروا إلى شفتيها . انظروا هنا ! هنا !

(يموت)

إدجـــــار : لقد أغمى عليه . مولاى ! مولاى !

كِـــنـــت : انفطر يا قلبى ! انفطر !

إدجـــــار : انظر إلينا يا مولاى !

كِـــــت : لا تزعج روحه . دعه يمضى . إنه يمقت كل من يريد أن يطيل مدّه على أداة التعذيب فى هذه الدنيا القاسية ولو لحظة أخرى . [٢٥]

إدجـــــار : إنه مضى فعلاً .

إدجـــار : العـجـيب هو أنه ظل يحـتـمل كل هـذا الوقت ، لقـد كـاد يعيش أطول مما قدّر له .

أولبـاني : احملوا هذه الجثث خارجًا . إن مـهمتنا الحاضـرة هي إعـلان الحـداد العـام . يا صـديقي الروح ، يا كنت ويا إدجـار ، توليا فيما بينكما حكم هذه المملكة ورعاية هذا البلد الجريح .

كـنـت : عفوًا يا سـيدي . عليّ أن أقـوم برحلة وشـيكًا . مـولاي يدعوني ولا أستطيع أن أرفض له طلبًا .

إدجـار : واجبنا أن نطيع ما يمليه علينا عبء هـذا الظرف الحزين وأن نقول ما نحس به فعلاً لا ما يُتوقع منا أن نقوله . إن أكبرنا سنًّا قد قاسوا أكثر من غيرهم . أمّا نحن الشباب فلن نرى مقدار ما رأوا ولن نعمر مثلما عمروا .

(يخرجون على إيقاع لحن جنائزي)

الحواشي

(١) الأصل يعنى «مهر» أو «صداق» أو «هدية زواج» والهدية هنا يقدمها أبو العروس لصهره .

(٢) أهل سكيثيا (وكانت تقع جنوب روسيا) . كان الاعتقاد شائعًا حتى عصر شكسبير أنهم قبائل متوحشة يأكلون أطفالهم وآباءهم .

(٣) هذا الجو الوثنى لازم لتصوير شكسبير للقصة . سيلاحظ القارئ فيما بعد أن الشخصيات تقسم بشتى الآلهة من الأساطير القديمة مثل جوبتر وجونو وما إليها .

(٤) اسم كانت تتخذه فئة من المتسولين تدعى الجنون .

(٥) فى الأصل «يا لاعب كرة القدم» وكانت كرة القدم تعتبر من ألوان الرياضة الحقيرة فى زمن شكسبير . إذ كان يلعبها الشبان العاطلون فى الطرقات مما تسبب عنه انزعاج شديد للمواطنين .

(٦) غطاء الرأس الذى كان يلبسه البهلول المحترف والكلمة تعنى حرفيًا «عرف الديك» كان عادة البهاليل أن يرتدوا ريش ديك أو قبعة أعلاها على شكل رأس ديك وعنقه وعليه جرس .

(٧) ربما تذكّر لير هنا وقاحة أوزولد فثارت ثائرته أو لعله ألم به الندم على ما ارتكبه من حماقة فى نفى كورديليا أو قد يكون لير يشير هنا إلى تهكم البهلول اللاذع .

(٨) يقصد أن لير وُلِد أبله إذ أن لفظة Fool كما قلنا تعنى أبله كما تعنى بهلول أى مَنْ حرفته أن يكون مضحك الملك أو النبلاء . وفى خلال المسرحية كلها يتلاعب شكسبير بالمدلول المزدوج لهذه اللفظة . ولذلك فيحسن أن يتذكر القارئ دائمًا أن كلمة بهلول فى أغلب المواضع التى ترد فيها لا تخلو من إيحاء بالبلاهة والحمق .

(٩) ربما كان هذا مثلاً سائراً للدلالة على نكران الجميل . ومن المعروف أن طائر الوقواق يضع بيضه ضمن بيض العصافير فى عشّها وحينما يفقس تطعمه العصافير ولما كان كبير الحجم نهماً لذا ينتهى أمره بأن يقتل العصافير التى معه .

(١٠) يعنى : ألا يدرك حتى البهلول الأبله أن الأوضاع قد انعكست حين تأمر البنت أباها الملك . بقية الكلام فيما يبدو مقتبس من أغنية قديمة . الكثير من كلام بهلول وكلام توما المجنون فيما بعد عبارة عن نتف وشذرات من أغان شعبية قديمة .

(١١) هذا الكلام موجّه لجمهور النظارة . والمعنى هو أن العذراء التى لا ترى سوى الناحية الهزلية فى سخرية بهلول ولا تدرك أن لير فى طريقه إلى المأساة إنما هى فتاة ساذجة لا تعرف كيف تحافظ على بكارتها . والدلالة الجنسية واضحة فى خاتمة الكلام .

(١٢) كان من عادة الشبان الغزليين أحياناً أن يجرحوا أنفسهم بتأثير الخمر لكى يشربوا نخب معشوقاتهم الخمرَ ممزوجةً بدمائهم .

(١٣) يصف كنت أوزولد بأنه مجرد خادم جبان يحاول الظهور بمظهر السيد ويبدو أن الخدم كانت تصرف لهم ملابسهم ثلاث مرات في العام وكانوا يلبسون جوارب من الصوف على حين أن السادة كانت جواربهم مصنوعة من الحرير .

(١٤) عروسة الغرور : الغرور من الشخوص الشائعة في المسرحيات الإنجليزية القديمة والمعروفة بالأخلاقيات Moralities وكانت تعرض غالبًا على مسرح العرائس . ويشير كنت هنا إلى جونريل بالطبع .

(١٥) يعتقد البعض أن كاميلوت – وكانت مقر الملك أرثر فى قصص العصور الوسطى – هى فى إقليم سومرست أو ويلز وأنه كانت هناك أوز كثيرة فى المراعى القريبة منها .

(١٦) أجاكس من أبطال الإغريق البواسل فى ملحمة هوميروس «الإلياذة» .

(١٧) الدهق : هى اللفظة التى ترجم بها الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا كلمة Stocks وهى بلا شك أدق ترجمة لتلك الآلة الخشبية التي كانت تحبس فيها رجلا الشخص (وأحياناً يداه وعنقه) عقابًا له على سوء سلوكه . كنا نفضل عليها لفظة «فلقة» لأنها أكثر شيوعاً لولا أن العقاب بالفلقة لم يكن مقصوراً على الحبس بل كان يشمل ضرب المذنب على باطن قدميه أيضًا . كان يعاقب بالدهق الخدم والمتسولون ومن هم من طبقات الشعب الدنيا عموماً .

(١٨) مرض الرحم Hysterica Passio وكان يعرف بأسماء أخرى وهو اختناق كان يعزى إلى مرض فى الرحم .

(١٩) الطاهية الساذجة فيما يبدو إشارة إلى قصة طاهية تجهل ثعابين الماء فلم تكن تعرف أنه لابد من قتلها قبل طهوها . وواضح أن كلامها للثعابين لا يخلو من إيحاءات جنسية . أما ما صنعه أخوها فله علاقة بخدعة شائعة بين بعض السيّاس وهى أنهم كانوا يغشّون بأن يضعوا الدهن فى علف الخيل التى هم مكلفون برعايتها . ولما كانت الخيل تكره الدهن لذا لم تكن تأكل العلف فكان السيّاس يسرقونه . وقصد البهلول أن يؤكد حماقة الأخ الذى كان يصنع ذلك عن جهل ظنًا منه أنه يعَطف بذلك على الخيل .

(٢٠) إشارة إلى عذاب بروميثيوس فى الأساطير الإغريقية .

(٢١) اللفظة الإنجليزية headpiece تعنى غطاء الرأس كما تعنى المخ . يقصد بهلول بقوله «من بنى بيتًا لذكره / قبل أن يبنى لرأسه / نزل القمل برأسه» أن الذى يشبع شهواته الجنسية قبل أن يرضى مطالب رأسه أى قبل أن يتعلم الحكمة ينتهى إلى الألم أى أن على الإنسان أن يطوّر العنصر الأسمى فى شخصه قبل أن يشبع مطالبه الدنيا . وهذا المعنى يتفق مع الجزء التالى من الأغنية ويقول إن الرجل الذى يولى اهتمامه عضواً أدنى من جسده أى إصبع قدمه ويهمل كلية ما هو أسمى أى قلبه يصيبه الأذى ومن عين العضو الذى بالغ فى الاهتمام به لحمقه . ويشير بهلول هنا إلى حماقة لير حين نفى كورديليا الفاضلة وأثرى أختيها الشريرتين . أما «هكذا الشحاذ مزواج» فربما كانت مثلاً سائرًا مثل «مامن حسناء» . وقد تكون كلامًا فارغ المعنى مما يتفوه به بهلول أحيانًا . أو لعلها تلميح لغرور جونريل وريجان .

(٢٢) الترجمة الحرفية هى «هنا جلالة وكساء قضيب» codpiece وكساء قضيب ترمز إلى بهلول لأن السراويل التى يلبسها البهلول كان الجزء المخصص منها لتغطية القضيب بارزًا على نحو خاص .

(٢٣) ميرلين هو ساحر وعراف فى القصص التى نشأت حول بلاط الملك أرثر فى القرون الوسطى . وعبارة بهلول تدل على أنه خرج من دوره فى أحداث الماضى السحيق التى تصفها المسرحية وتوجه بكلامه إلى جمهور النظارة فى عصر شكسبير كما لو كان معاصرًا لهم . هذا وقد شكّ بعض المحققين فى صحة نسبة هذا الكلام لشكسبير .

(٢٤) الملكات الخمس فُسرّت بأنها الفطنة والتصور والتوهم والتقدير والذاكرة وكان الناس يخلطون بينها وبين الحواس الخمس . وأحيانًا كانت الملكات الخمس تعنى ببساطة «العقل» .

(٢٥) كان من المعتقد أن البجعة تحيى صغارها بأن تخرق صدرها وتسقى صغارها قطرات دمها . ويبدو أن لير يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فيوحى بأن صغار البجع أنفسها

تنقر صدور والديها وتمتص دماءهما حتى الموت . وكلمات إدجار عن البجعة تأتى من أغنية ذات دلالة جنسية .

(٢٦) اسم فليبرتجيبت مثله مثل أسماء عدد كبير من العفاريت والجان كـ سمالكين وموتو وماهو وفراتريتو وهوبندانس أخذه شكسبير من كتاب صمويل هارسنيت «إعلان عن التدجيلات البابوية الشنيعة» وأسماؤها بالإنجليزية هى Flibberigibber, و Smulkin, و Modo, و Mahu, و Frateretto, و Hoppen-dance, و Obidicut, و Moberdidance .

(٢٧) إشارة إلى قصة أطفال شعبية تسمى «جاك قاتل المارد» وفى القصة المارد وليس الفتى هو الذى يقول « فى فو فم .. إلخ » .

(٢٨) قد يكون معنى هذا أن إدجار يمد رأسه فى اتجاه الكلاب الموهومة أو يتحرك كما لو كان يخلع رأسه عن كتفيه بيديه . أو قد يرمز الرأس إلى قرن الثور الذى يحمله إدجار كجزء من تنكره كتوما المسكين المعتوه وفى هذه الحال إما يقذف القرن وإما يضعه على رأسه ويتظاهر بأنه ثور يهجم على الكلاب .

(٢٩) موحية بأنه مخنث .

(٣٠) إما هدية وإما خطابًا .

(٣١) قد يكون المعنى «لا لن يستطيعوا أن يبزونى فى صك النقود» وقد تعنى العبارة «إن من ولد ملكًا لا يمكن أن يفقد حقه الطبيعى فى الملك» . أما عطر الصعتر فقد كان يستخدم فى مداواة الأمراض العقلية .

(٣٢) كانت صورة كيوبيد الضرير تستخدم لافتة لبيوت الدعارة .

(٣٣) يظن لير أنه فى الجحيم . لم يرد فى الكتاب المقدس ذكر عذاب عجلة النار ولكنه كان من المعتقدات الشائعة فى القرون الوسطى وكان يدخل فى تصورها للجحيم والمطهر .

(٣٤) يشعر لير هنا بالاختناق فيظن أن سببه ضيق ملابسه .

(٣٥) الترجمة الحرفية هى «من يريد أن يبقيه ممدودًا على مخلعة هذه الدنيا القاسية مدة أطول» . والمخلعة هى ترجمة الأستاذ جبرا لكلمة rack وهى أداة التعذيب كان يمطّ عليها جسم الإنسان فى اتجاهين متضادين حتى تنخلع أوصاله أو يموت أو يبوح بالكلام .

المؤلف فى سطور:

وليم شكسبير :

(١٥٦٤ - ١٦١٦). أعظم شعراء المسرحية الإنجليز. ومأساة الملك لير إحدى كبرى تراجيديات شكسبير الأربعة التى تشمل : هملت وعطيل والملك لير ومكبث، والتى تم تأليفها فيما يبدو بين ١٦٠٠ و ١٦٠٦ (انظر مقدمة المترجم لترجمة مكبث الصادرة من المجلس الأعلى للثقافة فى ٢٠٠١).

المترجم فى سطور:

محمد مصطفى بدوى :

ولد بالإسكندرية فى ١٩٢٥ وتخرج فى كلية الآداب بجامعتها فى ١٩٤٦ ، ثم حصل على درجتي الليسانس والدكتوراه فى الأدب الإنجليزى من جامعة لندن فى ١٩٥٤، اشتغل بعدها بتدريس الأدب الإنجليزى بجامعة الإسكندرية. قام بتدريس الأدب العربى الحديث بجامعة أكسفورد بإنجلترا. حاز زمالة كلية سانت أنطونى بأكسفورد فى ١٩٦٧ ، وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى (بالاشتراك) فى ١٩٩٢. أنشأ وشارك فى تحرير «مجلة الأدب العربى» الصادرة باللغة الإنجليزية (١٩٧٠).

من الكتب التى ألفها بالعربية: رسائل من لندن - شعر (١٩٥٦)، وكولردج (فى سلسلة نوابغ الفكر الغرب) (١٩٥٨)، ودراسات فى الشعر والمسرح (١٩٦٠)، ومختارات من الشعر العربى الحديث (١٩٦٩) وأطلال - شعر (١٩٧٩)، وفيليب لاركين - مختارات شعرية ودراسة (١٩٩٨)، وقضية الحداثة ... فى النقد الأدبى (١٩٩٩).

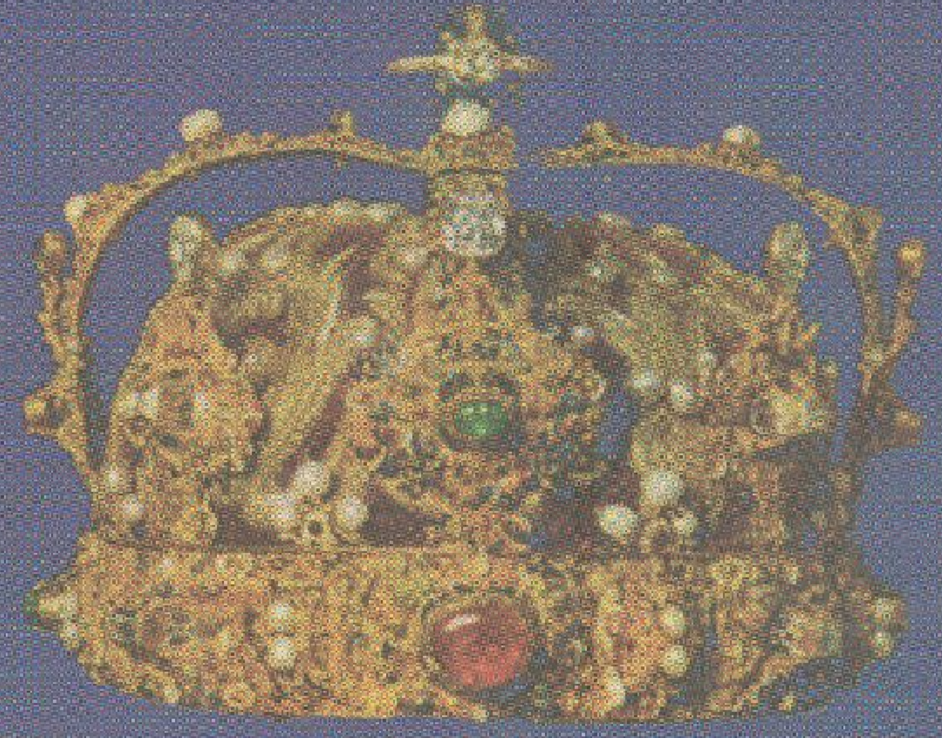
ومن الكتب التى ألفها بالإنجليزية: كولردج بوصفه ناقدا لشكسبير (١٩٧٣) ، ودراسة نقدية للشعر العربى الحديث (١٩٧٥)، وخلفية شكسبير (١٩٨١)، والأدب العربى الحديث والغرب (١٩٨٥)، والمسرحية العربية الحديثة فى مصر (١٩٨٧) وبداية المسرح العربى الحديث

(١٩٨٨)، والموجز فى تاريخ الأدب العربى الحديث (١٩٩٣). وقام بتحرير المجلد الخاص بالأدب العربى الحديث فى سلسلة تاريخ كمبردج للأدب العربى (١٩٩٢).

ومما ترجمه إلى الإنجليزية: قنديل أم هاشم ليحيى حقى (١٩٧٣)، والسلطان الحائر وأغنية الموت لتوفيق الحكيم (١٩٧٧)، وسارة لعباس محمود العقاد (١٩٧٨)، واللص والكلاب لنجيب محفوظ (١٩٨٤).

ومما ترجمه إلى العربية: الإحساس بالجمال لچورچ سانتيانا (١٩٦٠)، والعلم والشعر لرتشاردز (١٩٦٠)، والحياة والشاعر لستيفن سبندر (١٩٦٠)، والشعر والتأمل لروزتريفور هاملتون (١٩٦٣)، ومبادئ النقد الأدبى لريتشاردز (١٩٦٣)، والفكر الأدبى المعاصر لچورچ واطسون (١٩٨٠)، ومكبث لشكسبير (٢٠٠١).

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنــــى : حســـن كامـــــل



تدور أحداث هذه المسرحية فى بريطانيا فى الماضى السحيق فى عهد الوثنية وقبل أن تعرف المسيحية. وهذه حقيقة مهمة ينبغى أن نضعها نصب أعيننا؛ إذ تؤكد أن شكسبير فى هذه المأساة ينظر إلى أشخاصه من منظور يتخطى المنظور الدينى سواء كان هذا الدين هو المسيحية أو غيرها من الاديان السماوية التى تجد تبريراً للشر وتعتبره مجرد عنصر من العناصر التى تتألف منها الحياة فى نطاق كون يسوده الخيرفى جملته. إن شكسبير هنا يسبر أغوار النفس البشرية البدائية ويرينا الإنسان فى صورته الجوهرية الأولية مجرداً من كل زخرف وأيديولوجية وعقائد مما يضفى على المأساة صفة شمولية مطلقة ويزيد ما تثيره من مشاعر الجزع وال... تبدأ المسرحية بظهور ثلاث من أهم شخصياتها فى ... الاحتفالات الفخمة بقصر الملك لير، وهم ال... والنبيل جلوستر، نراهما منهمكين فى الحديث ... أنباء البلاط الملكى، وهو عزم الملك لير على ... السلطان وتقسيم مملكته بين بناته الثلاث.

